وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل: ط1: 181835075375

رقم التسجيل: ط2: 181835090212

الأنساق الاجتماعية و الثقافية في رواية "ياسمين العودة" لـ "خولة حمدي"

مذكرة لنيل شهادة الماستر LMD في تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:

– مريم موسى

– سارة بن يطو

أمام لجنة المناقشة:

الرقم	اسم ولقب الأستاذ	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1	حياة بوخلط	أستاذ التعليم العالي	جامعة المسيلة	رئيسا
2	نسيمة بغدادي	أستاذ التعليم العالي	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
3	باية كاهية	أستاذ التعليم العالي	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 1444/1443هـ. 2023/2022م.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي
(خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث)

أنا الممضي أدناه،

السيد(ة): بن يطو سارة الصفة: طالب

الحامل(ة) لبطاقة التعريف رقم: 20 49503 98 والصادرة بتاريخ: 2018.11.28 بدائرة المسيلة

المسجل(ة) بكلية: الآداب واللغات قسم: اللغة والأدب العربي

والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث مذكرة ماستر ، عنوانها:

دراسة سوسيوثقافية في رواية ياسمين العودة لغولة حمدي

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

المسيلة في

../../....

عن رئيس المجلس الشعبي البلدي
المفوض الحاكم المسيلة
مختار قنيف

إمضاء المعني

ملاحظة: أنجزت هذه الوثيقة وفق ملحق القرار رقم: 933 المؤرخ في: 28 -07- 2016 ، الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي
(خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث)

أنا الممضي أدناه،

السيد(ة): هوسى مريم الصفة: طالب

الحامل(ة) لبطاقة التعريف رقم: 20279506 والصادرة بتاريخ: 08/06/2016 بدائرة المسيلة

المسجل(ة) بكلية: الآداب واللغات قسم: اللغة والأدب العربي

والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث مذكرة ماستر ، عنوانها:

دراسة سوسيوثقافية في كتاب "ياسمين الحومة" لحولة حمدي

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

المسيلة في

..../../..

عن رئيس المجلس الشعبي البلدي
مفوض الخدمات العمومية
مختار ضيف

إمضاء المعني

ملاحظة : ألحقت هذه الوثيقة وفق ملحق القرار رقم 933 المؤرخ في 28 -07- 2016 ، الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها .

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

نشكر الله سبحانه وتعالى على فضله وتوفيقه لنا ، والقائل في محكم تنزيل

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ . . . .﴾ الآية رقم: (07) سورة إبراهيم

لقد زفت دموع الأقلام إلى أوراق تخط عليها أجمل العبارات، ولإن كتبنا شعرا طول العمر ينتهي العمر ولا تنتهي الأبيات، فهل بإمكان الأقلام أن تعبر عن الشكر و العرفان ، وهل تكفي الأوراق لكل الكلمات ، فما علينا سوى اختصارها في هذه العبارات :

فكل الشكر

إلى أستاذتنا المشرفة **نسيمة بغدادي** منبع المعرفة و السراج

الذي أنار دربنا فكل الشكر والاحترام لها

وإلى كل الأساتذة الذين سقونا من بحر المعرفة حتى وصلنا إلى هذه اللحظة

كما نتقدم بالشكر إلى اللجنة المناقشة وإلى كل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي

وإلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد في إنجاز هذه المذكرة

الإهداء

ما أجمل أن يجود المرء بأغلى ما لديه والأجمل أن يهدي الغالي للأغلى

هي ذي ثمرة جهدي أجنيها اليوم هي هدية أهديها إلى:

أبي العزيز أطال الله في عمره

إلى من علمتني العطاء دون انتظار يا من زرعتي في قلبي أسمى معاني الأفاضل وسعيت دوما لإرضائها

وإلى من أخص الله الجنة تحت قدميها

والدتي العزيزة أطال الله في عمرها

إلى أولئك الذين يفرحهم نجاحنا ويحزنهم فشلنا إلى جميع إخوتي وأخواتي الأعزاء وجميع أفراد عائلتي

إلى كل الأهل والأصدقاء

إلى أستاذتي الفاضلة

إلى كل من علمني حرفا في هذه الدنيا الفانية

إلى كل من ساعدني في إتمام هذا العمل سواء من قريب أو من بعيد طيلة فترة إنجاز المذكرة ولو بكلمة طيبة

سائلا المولى عز وجل أن يجزي الجميع الخير في الدنيا والآخرة

الحمد لله رب العالمين

مقدمة

مقدمة:

يعد النقد الثقافي من الاتجاهات التي اكتسحت الساحة النقدية والأدبية مع نهاية القرن العشرين- بالموازاة مع اهتمامات ما بعد الحداثة – أين خالف مبادئ ومقاييس النقد الأدبي مشكلا ثورة هدفها إقامة بديل منهجي يحمل رؤية جديدة في معالجة النصوص والخطابات مغايرة للرؤى السابقة، باحثا عن تقنيات توصل إلى قراءات جديدة وتكشف عن خبايا النصوص على اختلاف أشكالها من خلال الدعوة إلى موت النقد الأدبي صراحة، واستبداله بالنقد الثقافي مما يسمح بكشف خبايا الخطابات والظواهر الثقافية المضمرة بدلا من التركيز على الجوانب البلاغية والجمالية فيها.

و نظرا لأهمية النقد الثقافي وما يوفره من آليات تكشف عن الأنساق الثقافية المضمرة تحت عباءة الجمالي في النصوص، اخترناه ليكون سبيلنا لاستنطاق النصوص وكشف ما تظهره الرواية المختارة وذلك تبعا لميولنا النقدي ولشغفنا بتخصص الأدب الحديث والمعاصر فكان بحثنا موسوما ب:

الأنساق الاجتماعية و الثقافية في رواية ياسمين العودة لخولة حمدي.

ويهدف هذا البحث إلى الإجابة عن إشكالية محورية يمكن صياغتها كما يلي:

– كيف يساهم النقد الثقافي في الكشف عما تكنه النصوص والخطابات من أنساق ثقافية خاصة في رواية ياسمين العودة؟

وانطلاقا من هذه الإشكالية تولدت لدينا جملة من التساؤلات أهمها:

– ما مفهوم النقد الثقافي؟

– فيم تمثلت خصائص النقد الثقافي؟

– كيف استقبلت الساحة النقدية العربية الوافد الجديد؟

– ما مفهوم الأنساق الثقافية؟ وما هي أنواعها في رواية ياسمين العودة "لخولة حمدي"؟

ومحاولة منا الاجابة على هذه الأسئلة قمنا بتقسيم البحث إلى مقدمة، و فصلين و خاتمة وملحق جاء الفصل الاول نظريا بعنوان تحديدات اصطلاحية في النقد، الأدب، الثقافة

والنسق و مفهوم النقد الثقافي ومرجعيات النقد الثقافي في الساحة النقدية العربية و الأنساق الثقافية.

بينما جاء الفصل الثاني تطبيقيا بعنوان الأنساق الثقافية و الاجتماعية في رواية ياسمين العودة "لخولة حمدي" و الذي ضم الأنساق البارزة في الرواية فشملت الدراسة الأنساق الاجتماعية، والأنساق الثقافية وخاتمة جمعت أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث أما الملحق فعرضنا فيه السيرة الذاتية للروائية خولة حمدي، وملخصا لرواية ياسمين العودة.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن نتخذ من الوصف والتحليل منهجا و آلية للدراسة ، كونه الأنسب لمثل هذه الدراسات ، حيث قمنا برصد التحديدات الاصلاحية والمفاهيم والتصورات المكونة لمفهوم النقد الثقافي وبيان مرجعياته وخصائصه، وفي الفصل الثاني استعنت بالنقد الثقافي من خلال توظيف آلياته في الكشف عن الأنساق الثقافية و الاجتماعية المضمرة في الرواية.

كما اعتمدنا في بحثنا على عدة مصادر ومراجع أبرزها:

- كتاب الناقد السعودي عبد الله الغدامي بعنوان "النقد الثقافي قراء في الأنساق الثقافية العربية الصادرة عن المركز الثقافي العربي بطبعته الخامسة سنة 2005،أين عرض فيه ذاكرة المصطلح وتتبع بدايات النقد الثقافي في الساحة الغربية مع معالجة أهمّ الأنساق الثقافية الموجودة في الموروث العربي.

وكما لا يخلو أيّ بحث من مشقة أو تعثر يعترضان طريق الباحث، فقد كان هو الحال بالنسبة لنا، ومن جملة ما اعترضنا قلة المراجع المتخصصة في النقد الثقافي لكونه تخصصا جديدا لا تزال البحوث فيه قليلة ومحتشمة مقارنة بالمناهج الأخرى، كذالك عدم الحصول على بعضها فقد كان البحث في أمس الحاجة إليها ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن ننوّه بكل من مد يد العون والمساعدة من قريب أو بعيد في إنجاز هذا البحث ونخص بالشكر العظيم والتقدير العظيم لأستاذتنا المشرفة الدكتورة نسيمة بغدادي فقد كانت لنا سندا منبها

موجها ومرشدا في رحلة البحث والدراسة، كما نتوجه بالشكر إلى اللجنة المناقشة لتكبدهم عناء قراءة البحث وتقييمه.

وفي الأخير نأمل أن تقدم هذه الدراسة ولو إضافة بسيطة في مجال البحث العلمي فقد حاولنا فيها إيفاء الموضوع حقه من التحليل والمناقشة بأحسن ما عندنا فإن أخفقنا فمن أنفسنا ونرجو منكم التوجيه، و إن أصبنا فإن توفيقنا من المولى عز وجل، والله وراء القصد.

الفصل الأول

النقد الثقافي، مفهومه، سماته و مرجعياته

أولا: تحديدات اصطلاحية

1- مفهوم النقد

2- مفهوم الأدب

3- مفهوم الثقافة

4- مفهوم النسق

ثانيا: مفهوم النقد الثقافي

1- تعريف النقد الثقافي

2- خصائص النقد الثقافي

ثالثا: النقد الثقافي في الساحة النقدية العربية

رابعا: الأنساق الثقافية وأنواعها

يقال إن المصطلحات هي مفاتيح العلوم وهذا ما أكسبها أهمية كبيرة في مجال البحث العلمي الممنهج بحيث لا يمكن التدرج فيها ما لم تضبط حدودها المصطلحية لذا ينبغي أن يكون الاهتمام بها على رأس الأولويات وكان من الأنسب في هذا البحث المندرج تحت هذا الإطار المصطلحات الآتية: النقد، الأدب، الثقافة والنسق.

أولا: تحديدات اصطلاحية:

1- مفهوم النقد:

1-1- النقد لغة:

ورد في لسان العرب في مادة (ن ق د) أن النقد والنقّاد تمييز الدراهم و اخراج الزيف منها... ونقدت الدراهم انتقدتها إذا أخرجت منها الزيف... و ناقدت فلانا إذا ناقشته في الأمر...، وفي حديث أبي الدرداء أنه قال: إذا نقدت الناس نقدوك وان تركتهم تركوك، معنى نقدتهم أي عيبتهم،[1] كما جاء في المعجم الوسيط بأن نقد الشيء نقدا: نقده ليختبره أو ليميز جيده من رديئه... ويقال نقد النثر ونقد الشعر أظهر ما فيهما من عيب أو حسن... وفلان ينقد الناس يعيبهم ويغتابهم.[2]

إن هذه التعريفات اللغوية تحصر معنى النقد في الانتقاد والتمييز بين الجيد والرديء من الأشياء، كما يحمل معنى تحديد العيوب والنقائص والحسن في الشيء سواء في الشعر أو النثر.

1-2- النقد اصطلاحا:

حظي مفهوم النقد باهتمام كبير وسط الدارسين أين حاول كل منهم صياغة مفهوم محدد له، إلا أن هذا من ضرب المستحيل نظرا لكثرة الرؤى النقدية واختلاف الاتجاهات والمناهج و إذا نظرنا للنقد انطلاقا من تعريفه اللغوي نجده يرتبط بالنظرة الانطباعية وهو ما كان عليه حقيقة النقد الفني والأدبي بواكير ظهوره، إلا أنّ هذا المفهوم قد تغيّر ومال إلى معنى أكثر توسّعا، يعنى بدراسة الأعمال الفنية والأدبية وتحليلها ثمّ محاولة تقويمها، فخرج

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف مصر ط1، ص4517، مادة ن ق د .

[2] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004،ص 944، مادة ن ق د.

من دائرة الانطباعية إلى العلمية وليس الهدف منها بيان الجيد من الرديء، فأصبح بهذا يحتكم إلى علوم ومناهج ومقاييس.

ويمكن رصد بعض تعاريف الباحثين في هذا المجال فالنقد يتوسط عند رولان بارت Roland Barthes بين العلم والقراءة الذاتية المحضة، فالنقد يحتل مكانة وسيطة بين الأدب و القراءة وهو يعطي لغة الكلمة التي يقرؤها ويعطي كلمة للغة الميتة التي وضع فيها ليعالجه العلم [1] فهو يعتبر النص ميتا تكسبه القراءة الذاتية للحياة، فهي التي تمنح الأدب مفهومه ودلالاته وعليه تكمن مهمة الناقد في الجمع بينهما ليحتل بذلك المكانة الوسط.

أما من الباحثين العرب فنجد الدكتور شوقي ضيف يعرّفه على أنّه " تحليل القطع الأدبية وتقدير ما لها من قيمة فنية ويستخدم مصطلح النقد ليدل على الملكية التي يستطيعون بها معرفة الجيّد من الرّديء من النصوص ، والجميل والقبيح منها ، وما تنتجه هذه الملكية في الأدب من ملاحظات وآراء وأحكام مختلفة [2] ، من هنا فقد ارتكز مفهوم شوقي ضيف على النقد الأدبي بمفهومه التقليدي قبل ظهور مختلف المناهج النقدية الحديثة والمعاصرة، والتي تقدم كل منها مفهومها الخاص بالنقد انطلاقا من الجانب الذي تؤسس عليه دراستها.

2- مفهوم الأدب:

2-1- الأدب لغة:

جاء في لسان العرب أن الأدب هو الذي يتأدّب به الأديب من الناس سمي أدبا لأنه يؤدّب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح [3] أما في المعجم الوسيط فورد أن قولهم أدّبه...أي لقّنه فنون الأدب، والأدب: رياضة النفس بالتعليم والتهذيب على ما ينبغي، وجملة ما ينبغي لدى الصناعة أو الفن أن يتمسّك به... والجميل من النّظم والنّثر وكل ما أنتجه العقل من ضروب المعرفة، فمن خلال هاذين التعريفين نجد أن كلمة أدب ترتبط غالبا

[1] سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبنانية، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص 216.

[2] شوقي ضيف، فنون الأدب العربي، النقد، دار المعارف، القاهرة – مصر، ط5 ، ص 9.

[3] ابن منظور، لسان العرب، مادة أ د ب، ص 430.

بالسلوك الإنساني السويّ، وتهذيبه و إرشاده إلى المحامد و المناهي، كما يشمل فنون النظم والنثر وغيرها من المعرفة، "أما علوم الأدب عند المتقدمين تشمل: اللغة والصرف والاشتقاق والنحو والمعاني والبيان والبديع والعروض و القافية والخط و الإنشاء والمحاضرات [1] ،أي أنّ الأدب حسب هدا التعريف هو كل ما تعلّق بعلوم اللغة العربية .

2-2- تعريف الأدب اصطلاحا:

نظرا لاتساع مجال الأدب فإن تعريفه تعريفا شافيا لن يكون سهلا، فقد ذهب مثلا محمد مندور الى أنّ الأدب –حسب ما ورد في مناهجنا الدراسية والثقافية– هو الشعر والنثر الفني أي نثر الخطاب والرسائل والمقامات والأمثال السائرة ثم الأخذ من كل شيء بطرف، فالأدب في المفهوم العربي يرتبط بنوع الصنعة، كما يشمل أغراض الشعر المتنوعة إضافة إلى الفنون النثرية على اختلافها، بينما يرى أن للغربيين مفهوما غير هذا، فالأدب عندهم يشمل كافة الآثار اللغوية التي تثير – فينا بفضل خصائص صياغتها – انفعالات عاطفية أو أحاسيس جمالية. [2]

فالأدب هنا يتعلق بالأثر النفسي الذي يخلّفه العمل الأدبي والذي ينبعث من خصائص صياغته ومعنى هذا أنّ الأدب فن يرتبط باللغة، ويتحدد في النثر و الشعر على حد سواء وما يصدر عنها من تأثير في العاطفة والأحاسيس.

3- مفهوم الثقافة

3-1- الثقافة لغة:

الثقافة في المعجم الوسيط مشتقة من قولنا ثقف ثقفا: صار حذقا فطنا فهو ثقف... ثقف الشيء أقام المعوج منه وسواه ... الإنسان أدّبه وهذّبه وعلّمه ... الثقافة : العلوم والمعارف والفنون التي يتطلب الحذق فيها [3]، فالثقافة في معناها اللغوي تدور حول ثلاثة مفاهيم، فهي تعني أن يصير الإنسان حذقا، كما تعني تقويم المعوجّ وتسويته إضافة إلى

[1] معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 9.

[2] محمد مندور، الأدب ومفاهيمه، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، ص 7.

[3] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط ، ص 89.

التهذيب والتأديب والتعليم، أما فيما يخص معناها الحديث فهي جملة العلوم والمعارف والفنون التي تفرض العلم بها.

3-2- الثقافة اصطلاحا:

إن مفهوم الثقافة مفهوم صعب التحديد، لكونه أولا حديث الظهور وثانيا لاتساع الجوانب التي يحيط بها ، فالثقافة كما يذهب "ريموند ويليامز"واحدة من الكلمتين أو الثلاث الأكثر تعقيدا في اللغة الإنجليزية حيث تشمل عدة مفاهيم يمكن حصرها فيما يلي:

أ- عملية عامة للتطور الفكري والروحي والجمالي اي ان تطور أية أمة في مجال الفكر والدين والأدب وغيرها يشكل صورة لثقافة هذه الأمة

ب- طريقة محددة للحياة سواء أكانت لشعب أم فترة أم مجموعة فإضافة إلى ما ذكر فإنه يزيد في هذا المنطلق الانجازات المادية التي ترسم أسلوبا للحياة والمتمثل في التعليم والرياضة وغيرها من الأعمال والممارسات الفكرية و بخاصة النشاط الفني[1]، و هنا ينقل وليامز مفهوم الثقافة إلى مجموع الانتاجات الفكرية والفنية الحاملة لرسالة، حيث يدخل في هذا الباب الفنون المختلفة أدبا وغيره.

أما إذا عدنا إلى العالم العربي فنجد أن مفهوم الثقافة يختلف من ناحية ويقترب من ناحية أخرى من المفهوم الغربي لها، فهي من منظور " مالك بن نبي " مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه[2] ، فهي ترتبط بالجانب الاجتماعي اليومي للفرد، تساهم في تشكيل طباعة وتوجيه سلوكه بحسب ما هو سائد في محيطه، بحيث تصبح هذه العملية تلقائية لا شعورية، وهو ما نهج إليه سمير الخليل في دليل مصطلحاته أن الثقافة اسم جماعي لجميع النماذج السلوكية المكتسبة اجتماعيا والتي يتم نقلها عن طريق الرموز ، أي هي تقريبا عملية مشفرة تسري خفية في المجتمع حتى يتم اكتسابها و هضمها من طرف افراده ، فتصبح بذلك ميزة وخاصية فيهم، وهي واسعة شاملة

[1] جون ستوري ،النظرية الثقافية و الثقافة الشعبية ، هيئة ابو ظبي، الامارات ، ط4 ،2014 ، ص16.

[2] مالك بن نبي، مشكلات الحضارة، مشكلة الثقافة، دار الفكر المعاصر بيروت، لبنان ط4، 2000، ص 74 .

تطلق على جميع الانجازات المميزة للجماعات البشرية بما في ذلك اللغة والصناعة والفن والعلوم والقانون والحكامة والأخلاقيات والقيم الروحية والديانة حتّى الادوات المادية و الصناعات اليدوية.

4- مفهوم النسق.

4-1- النسق لغة:

إن النسق في اللغة من قولنا نسق الشيء-نسقا: نظمه يقال نسق الدر ونسق كتبه... نسقه نظمه، انتسقت الأشياء انتظم بعضها إلى بعض...النسق: ما كان على نظام واحد من كل شيء [1]، فالنسق يعني النظام والتتابع والترتيب وكل ما يشترك في خصائص او صفات يسمى نسقا.

4-2- النسق اصطلاحا:

تتعدد مفاهيم النسق اصطلاحا إلا أنها تصب في قالب واحد وهو معنى النظام فنسمي ما نسقا حينما نريد أن نعبر على أنّ الشيء يدرك باعتباره مكونا من مجموعة من العناصر أو مجموعة من الأجزاء يترابط بعضها ببعض حسب مبدأ مميز [2]، فالشيء المكون من عدة عناصر أو أجزاء مترابطة فيما بينها وفق نظام معين يسمى نسقا ، والنسق عند ميشال فوكو علاقات تستمر وتتحول بمعزل عن الأشياء التي تربط بينها [3] ، بمعنى أن النظام والترتيب وطبيعة العلاقات التي تربط بين الأشياء هي النسق والذي يتصف هذا الأخير بالتغير والتحول الدائمين.

يعد النقد الثقافي من الاتجاهات التي اكتسحت الساحة النقدية والأدبية مع نهاية القرن العشرين بالموازاة مع اهتمامات ما بعد الحداثة، بل نستطيع القول أن النقد الثقافي قد ولد من رحمها، حيث أُسس هذا النشاط النقدي كرد فعل على المناهج التي سيطرت على الدراسات النقدية لفترة زمنية طويلة، من السياقية إلى النسقية وصولا إلى ما بعد البنيوية أين كان مركز هذه الدراسات محصورا في المؤلف ثم النص وأخيرا القارئ، فانحصرت مهمة

[1] سمير خليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ص 78.

[2] محمد مفتاح، التشابه والاختلاف: نحو منهاجية شمولية، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ص 48.

[3] سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، ص 211.

النقد الأدبي في هذه المراحل في البحث عن مواطن الجمال في الأثر الأدبي واكتسب الأدب سموّه بفضل لغته الرمزية التي لا يمكن تفكيكها إلى مواعظ أخلاقية ولا أفكار ايديولوجية فجاء النقد الثقافي مخالفا للنقد الأدبي مشكّلا ثورة هدفها إقامة بديل منهجي يحمل رؤية جديدة في التعامل مع النصوص والخطابات مغايرة للرؤى السابقة، باحثا عن تقنيات توصل إلى قراءات جديدة وتكشف عن خبايا النصوص على اختلاف أشكالها.

ثانيا: مفهوم النقد الثقافي

1- تعريف النقد الثقافي:

شهدت الساحة النقدية في العصر الحديث عدّة تحولات، عرفت خلالها مجموعة من المناهج التي اختلفت مفاهيمها حول العملية النقدية والأسس الأجدر القيام عليها في تحليل الآثار الأدبية فمنها ما سلط الضوء على المؤلف ومنها من اهتم بالنص ومنها ما وجد ضالته عند القارئ متناسين خلال ذالك مكنونات هذه الآثار ومضمراتها، وعليه فقد ظهرت موجة جديدة غطت هذه الساحة منادية ومنددة بعدم كفاءة النقد الأدبي في التحليل كونه يرتكز على كشف جوانب الجمالية وتمحيص مظاهر الأدبية في النصوص ومنه وجب تحويل الأداة النقدية من أداة إلى قراءة الجمال الخالص وتبريره... إلى أداة في نقد الخطاب وكشف أنساقه [1]، وبناء على هذا برزت جهود جبارة لإرساء هذا البديل المنهجي تحت مسمى النقد الثقافي والذي سعى إلى الخروج عن القواعد المؤسساتية التي قيدت حيز النقد على مدى القرون، فما هو مفهوم النقد الثقافي؟

إن السؤال عن ماهية النّقد سؤال شديد التعقيد لا يمكن الإجابة عنه إجابة بسيطة لأنه يندرج في صلب الاهتمامات الفكرية المختلفة ، وسنحاول في هذا المبحث الوقوف عند المنظّرين لهذا المنهج، بداية مع الناقد الأمريكي فنسنت ليتشvincent b leitch الذي يعتبر أول من اصطلح على نظرية ما بعد الحداثة بالنقد الثقافي حيث دعا إلى مشروع نقدي يحرر النقد المعاصر من قيود الشكلانية ويتجاوز البنيوية وما بعدها بوضع الظواهر

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، الدار البيضاء المغرب، ط3، 2005، ص 8.

والمنتجات الجمالية في علاقة مع كل من الهيئات الاجتماعية و الأعمال الثقافية الأخرى ويتطلّب هذا المشروع من نقّاد الأدب لا التحليل النصي وحده، وإنما كذلك البحث في الأسس الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والمؤسسية والتاريخية للإنتاج والتوزيع والاستهلاك الثقافي[1]، ما يعني ضرورة توسيع حدود الأدب لعدم كفاية مفهومه آنذاك أين كان محصورا في مؤسسات الدراسات الأدبية ولا يتأتّى ذالك إلا عن طريق تجاوز الأدب الجمالي الرسمي إلى تناول الإنتاج الثقافي أيّا كان نوعه ومستواه وبالتالي فهو نقد يسعى إلى دراسة الأعمال الهامشية التي طالما أنكر النقد الأدبي قيمتها أو أهميتها بحكم أنها لا تخضع لشروط الذوق النقدي [2]، وتأسيسا على هذا فإن **فنسنت ليتش** نزح بالعملية النقدية من الاهتمام المفرط بكل ما هو أدبي وجمالي في مفهوم الأدب الرسمي إلى ماهو مهمل ومغفل وغير رسمي والذي يمكن القول أنه المؤثر الفعلي في الملتقى وبمعنى آخر أزال الحدود والفوارق بين ما هو أدبي وما هو غير أدبي.

ولعل أبرز من تناولوا النقد الثقافي بالتعريف والدراسة نجد الناقد السعودي عبد الله الغذامي في كتابه الموسوم بالنقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية حيث حدّد مجاله باعتباره فرعا من فروع النقد النقد النصوصي العام ومن ثم فهو أحد علوم اللغة وحقول الألسنية معني بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه، ما هو غير رسمي وغير مؤسساتي... وهو لذالك معني بكشف لا الجمالي كما هو شأن النقد الأدبي وإنما همّه كشف المخبوء من تحت أقنعة البلاغي / الجمالي [3].

ما لوحظ حول هذا التعريف أن الناقد عبد الله الغدامي قد جعل من النقد الثقافي جزءا من علوم اللغة يحلّ محل النقد الأدبي والبلاغة على حد سواء ،نظرا لمحدوديتها في كشف الجمالي فقط في النصوص فهو القائل "إن النقد الأدبي غير مؤهّل لكشف هذا الخلل الثقافي

[1] فنسنت بليتش، النقد الأمريكي من الثلاثينيات إلى الثمانينيات، تر محمد يحيى، المجلس الأعلى للثقافة، 2000، ص 407، 408.

[2] إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان الأردن، ط 1، 2003، ص 139.

[3] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، ص 83- 84.

فقد كانت دعوتي بإعلان موت النقد الأدبي وإحلال النقد الثقافي مكانه [1]،وبالتالي فهو يختص في بحث الأنساق المخفية التي يحملها الخطاب الثقافي بكل أنواعه ومنه المساواة بين ما هو رسمي وغير رسمي، أما الباحث جميل حمداوي فيرى بعد تعريجه على كل آراء من" فنسنت ليتش وعبد الله الغذامي أن النقد الثقافي هو الذي يدرس الأدب الفني والجمالي باعتباره ظاهرة ثقافية مضمرة [2]، أي أن العملية الإجرائية للنقد الثقافي تدرس النص الأدبي خارج حدود الرموز الجمالية، والعبارات الشكلية الموحية، إنما تدرسه من منظور الأنساق الثقافية المخفية تحتها، الأمر يتطلّب ربط الأدب بسياقه الثقافي بكل تجلياته التاريخية والسياسية والاقتصادية والأخلاقية وغيرها غير المعلنة، مضيفا إلى تعريفه هذا مجالات اشتغال النقد الثقافي فهو يراه كمقاربة متعدّدة الاختصاصات تتبني على التاريخ وتكشف الأنساق والأنظمة الثقافية وتجعل النص والخطاب وسيلة وأداة لفهم المكونات الثقافية المضمرة في اللاوعي اللغوي والأدبي والجمالي، أما الدراسات الثقافية فتهتم بعمليات إنتاج الثقافة وتوزيعها واستهلاكها ، وقد توسعت لتشمل دراسة التاريخ وأدب المهاجرين و العرق والكتابة النسائية والجنس والشذوذ والدلالة و الإمتاع... كل ذلك من أجل كشف نظرية الهيمنة و أساليبها [3]،

من خلال هذه التعريفات يتبين أن النقد الثقافي واسع المجالات متعدد التفرّعات غير محصور في موضوع محدّد منفتح على كل الأشكال التعبيرية.

يتساوى مفهوم النقد الثقافي مع مفهوم النقد الحضاري فيما أشار إليه " سعد البازعي "وميجان الرويلي معتبرانه في دلالته العامة نشاطا فكريا يتخذ من الثقافة بشموليتها موضوعا لبحثه وتفكيره ويعبّر عن مواقف إزاء تطوراتها وسماتها [4]، وعليه فهو حسبهما يشمل كل

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، ص 9.

[2] جميل حمداوي، النقد الثقافي بين المطرقة و السندان، دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني، الناظور تطوان، المغرب، ط 1، 2015، ص 9.

[3] المرجع نفسه، ص 10.

[4] سعد البازغي وميجان الرويلي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 3، 2002، ص 305.

أنواع الممارسات القولية أو الفعلية التي يتولّد عنها معنى أو دلالة سواء كانت فكرية أو مادية وبمعنى آخر أنه لا يوجد مجال متخصّص ينشط فيه النقد الثقافي.

أما سمير الخليل فيلخّص النقد الثقافي في أبسط مفاهيمه بأنه ليس بحثا أو تنقيبا في الثقافة إنما هو بحث في أنساقها المضمرة وفي مشكلاتها المركبة والمعقّدة...، ومن هنا يختلف النقد الثقافي عن النقد الأدبي [1]، فالنقد الثقافي نقد يحاول البحث عن أوجه الثقافة المختلفة والتنقيب عنها في ثنايا المنجزات الفكرية والمعرفية على اعتبار أنها تنشأ فيها وتتفاعل معها وبذلك يختلف النقد الثقافي عن النقد الأدبي من حيث الأدوات المنهجية وكذا من حيث الهدف، في حين يذهب الباحث صلاح قنصورة إلى أن يجعل من النقد الثقافي شريكا للعولمة ولما بعد الحداثة فيوافق سابقه في اعتبار هذا النقد ليس منهجا بين مناهج أخرى أو مذهبا أو نظرية كما أنه ليس فرعا أو مجالا متخصصا من بين فروع المعرفة ومجالاتها بل هو ممارسة أو فاعلية تتوفر على درس كل ما تنتجه الثقافة من نصوص، والجديد فيه كما يراه هو رفع الحواجز بين التخصصات والمستويات في الممارسة الإنسانية لأنها تنتمي جميعا إلى الثقافة... ومن ثم ينكر النقد الثقافي التفرقة التقليدية المألوفة بين القاعدة (البناء التحتي) والبناء الفوقي كذلك التمييز بين الواقعي والإيديولوجي [2]، وهذا الرأي هو ما دعا إليه أغلب النقاد فلا فرق بين الرسمي والشعبي ما دام أنه تعبير يحمل دلالة ومعنى.

إن النقد الثقافي بناء على ما سبق من تعريفات النقاد هو نشاط نقدي يقوم بدراسة وتحليل الإنتاج الثقافي بكل أنواعه فلا يفرّق بين الأدب الرسمي والأعمال الهامشية والحياة اليومية مادام ما تنتجه يحمل دلالة ومعنى، كما يرتكز موضوع بحثه على كشف وإظهار مكنونات ومضمرات الإنتاج المخفية تحت قناع الألفاظ والجمال والبلاغة فهو إذا مناقض للنقد الأدبي الذي يهتم بكشف الجمالي في الأعمال وفي اهتمامه حصرا بالأدب الراقي.

[1] سمير خليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي ، ص 105.

[2] إصلاح قنصورة، تمارين في النقد الثقافي، دار بيروت، القاهرة، ط1، 2002، ص 5.

إن مجال اشتغال النقد الثقافي مجال واسع غير محدود بقواعد أو قوانين حيث يدرس كل الأشكال التعبيرية في إطار تفاعلها مع الثقافة التي أنتجت فيها بكل مركباتها وبالتالي هو أقرب أن يكون نشاطا أو تفاعلا أكثر منه منهجا وعليه فهو يستعين بالنظريات والمفاهيم المعرفية المختلفة التي تمكنه من تشريح الإنتاج والكشف عن الإيديولوجيات والمؤثرات التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية المخبوءة فيه.

2- خصائص النقد الثقافي:

يمثل النقد الثقافي آخر ما توصل إليه الفكر النقدي ويتم هذا النقد بعدد من السمات والخصائص هي:

التكامل: يعدّ النقد الثقافي نقدا متكاملا إذ أنه يستفيد من مجالات وحقول معرفية ونقدية متعددة فمنها يأخذ آلياته و مرتكزاته ومنها أقام مفاهيمه وتحديداته حيث أنه لم يلغ المنجز النقدي الأدبي وإنما الهدف في تحويل الأداة النقدية من أداة في قراءة الجمالي الخالص وتبريره... إلى أداة في نقد الخطاب وكشف أنساقه [1]، فالنقد الثقافي إذا يعتمد في تحليله على أدوات النقد الأدبي مع تغيير أهداف الدراسة النقدية وإعادة توجيهها ليقارب النقد الثقافي البنى والذات والآخر والهوية والسياق والإنتاج[2]،ومن هنا يصبح النقد الثقافي نقدا تكامليا يجمع بين مختلف النظريات النقدية ويخلص من خلالها إلى تطبيق منهجه الخاص لاستكشاف الأنساق الثقافية... دون إحداث قطيعة نظرية مع ما سبق من مناهج وهو الأمر الذي ذهب إليه سمير الخليل في تحديده لخصائص النقد الثقافي عند فنسنت ليتش [3].

التوسع: يعد مجال اهتمام النقد الثقافي مجالا شاسعا انفرجت من خلاله زاوية النظر على أفاق جديدة هي أوسع وأعمق من مجرد البحث عن الجمالي في النصوص أين تم التخلص من قيود المؤسساتية وأصبح كل ما يحمل دلالة هو موضوع ومادة للدرس النقدي حيث لا يؤطر النقد الثقافي فعله تحت إطار التصنيف المؤسساتي للنص الجمالي بل ينفتح

[1] عبد الله الغذامي ، النقد الثقافي ، ص 8.

[2] المرجع نفسه، ص8.

[3] ينظر: سمير خليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي ، ص 302.

على مجال عريض من الاهتمامات إلى ما هو غير محسوب في حساب المؤسسة وإلى ما هو غير جمالي في عرف المؤسسة سواء أكان خطابا أو ظاهرة [1]،بمعنى أن هذا النقد يلتفت إلى الاهتمام إلى الجانب الأدبي بما لا يندرج تحت تصنيف المؤسسة على اعتباره المؤثر الحقيقي في الجماهير كالأغنية والكاريكاتير والبرامج التلفزيونية وغيرها فهو بهذا يجنح إلى التوسع عن دائرة النقد الأدبي الذي كان غافلا عن الخطابات الفاعلة لمجرد أنها ليست مما يحسب في حساب الراقي كما تقرّره المؤسسة الأدبية وشروطها الجمالية البلاغية [2]، ومن هنا فإن النقد الثقافي يوسع من منظوره للنشاط الإنساني بحيث يصبح المجال منفتحا أمام أشكال متعددة من النشاط ... وهو ما يعد اضافة للفن ومحاولة للتخلص من الأفكار التي تكاسلت مع مرور الوقت و في الإطار نفسه يذهب الغذامي الى انه لا بد أن ينفتح المجال للخطابات الأخرى المنسية والمنفية بعيدا عن مملكة الأدب... فإن كل ما هو دال فهو لغة وخطاب تعبيري سواء كان حركة أو فعلا أو هيئة أو نصا [3] ، فكان التوسع في أبسط مفهوم له أن كل الأشكال التعبيرية جديرة بالنظر والتحليل لا النصوص النخبوية فقط.

الشمول: يرتبط النقد الثقافي بعالمه الخارجي وبتركيباته المختلفة وبكل ما ساهم في تشكيله وعليه نستطيع القول أنه يشمل تقريبا كل جوانب الحياة الإنسانية ويتعرض لها فهو يوسّع من منظور النقد ذاته ليجعله شاملا لكل مناحي الحياة مما يكسب النقد نفسه قيما أخرى جديدة فإذا كان النقد الأدبي ضرورة لتطوير الأدب أو للكشف عن جوانب النظرية الأدبية... فإن النشاط الإنساني كله في حاجة إلى النقد [4]، أي أن النقد الثقافي في تطبيقه لهذا المنهج يحاول الكشف عن الأنساق المضمرة في الإنتاج مما يحيله حتما إلى التعرض إلى كل العناصر المشكلة للحياة بكل جوانبها العقائدية والاجتماعية والنفسية والسياسية وغيرها،

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، ص 8.

[2] المرجع نفسه، ص 15.

[3] مصطفى الضبع: أسئلة النقد الثقافي ، مؤتمر أدباء مصر في الأقاليم، المنيا – مصر، 2003 ، ص 11.

[4] عبد الله الغذامي ، النقد الثقافي ، ص 61.

فيشملها بحثه كلها وهي الأمور التي كان النقد الأدبي يفتقر إليها والتي فتح النقد الثقافي بابا عليها وسد ثغرات المسار النقدي من خلاله فجسد بذلك الشمولية.

الضرورة: إن افتقار النقد الأدبي للشمولية والتوسع أوقع نفسه وأوقعنا في حالة من العمى الثقافي التام عن العيوب النسقية المختبئة من تحت عباءة الجمالي ،فكان من الضروري إيجاد بديل منهجي يعيد الطريق للخروج من هذه الثغرة فقد حرم النقد من القدرة على معرفة عيوب الخطاب ومن ملاحظة ألاعيب المؤسسة الثقافية وحيلها في خلق حالة من التدجين و الترويض العقلي والذوقي لدى مستهلكي الثقافة وما يسمى بالفنون الراقية والأدب الرفيع [1] و من هذا المنطلق فإنّ النقد الثقافي ضرورة حتمية يلجأ إليها الناقد في عمليته النقدية.

الاكتشاف: يقوم النقد الثقافي على آليات تتمثل في البحث عن المخبوء تحت ظاهر الأشياء حيث يسعى إلى محاولة اكتشاف أو توجيه النظر لاكتشاف جماليات جديدة سواءا في النصوص الأدبية نفسها أو في الواقع بوصفه نصا أشمل [2]، في محاولة من النقاد لتخطي قصور النقد الأدبي عن كشفها وانغلاقه على الأنساق الظاهرة في الخطاب حتى أصبح غير قادر على التجديد فالشق المعلن من الخطاب قد خدم نقديا وعلى نطاق واسع بينما جرت الغفلة على الأنساق المضمرة مع جليل أثرها وخطرها [3]،فإغفال هذه الأنساق كان القوة الدافعة لظهور النقد الثقافي القائم على الدعوة إلى اكتشافها وكشفها في آن واحد.

وخلاصة القول إن النقد الثقافي مجاله غير محدود ولا تحكمه قيود ما كان متعارف عليه في النقد بصفة عامة، ما جعله يتصف بالتكامل والتوسّع والشّمول والضرورة والاكتشاف، فهو يجمع ويتقاطع مع كثير من مناهج النقد الأدبي فلم يشكل القطيعة معه فيتوسع ويخرج نطاق دراسة وتحليل النص الأدبي النخبوي المؤسساتي إلى الانفتاح على الخطابات التعبيرية باختلاف أنواعها كما يشمل جميع مناحي الحياة وتركيباتها مما يجعله ضرورة منهجية تنير طريق النقد وتسد ثغرات مساره عموما وذالك عن طريق الاهتمام بالأنساق الثقافية المضمرة والمخفية تحت عباءة النقد الأدبي.

---

[1] المرجع السابق، ص 62

[2] مصطفى الضبع، أسئلة النقد الثقافي، ص 13.

[3] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي ، ص 71.

ثالثا: النقد الثقافي في الساحة النقدية العربية

يعد النقد الثقافي آخر ما أفرزته التصورات النقدية، حيث شكل النقلة الحقيقية من النقد الأدبي الذي أصبح قاصرا إلى نقد يستجيب لمتطلبات الحاضر، وقد ظهر هذا النقد منذ إرهاصاته الأولى لدى الغرب كما سبق الذّكر، ومن هنا يتبادر إلى الأذهان السؤال حول ما إذا كان للعرب عهد بمثل هكذا نقد في تاريخه وكيف كان استقبالهم لهذه النظرية الجديدة؟

إن النقد الثقافي مثله مثل الكثير من الاتجاهات والتصورات النقدية الغربية المنشأ، وصل إلى الساحة النقدية العربية جاهزا ولكن بطبيعة الحال حاول الدارسون سبر أغواره والتعمق فيه لهدف كشف أو إيجاد جذور فكرية له في تاريخنا النقدي، ومن هنا فإنه يمكن الحديث عن الكثير من النقد الذي قدّمه الكتاب العرب منذ منتصف القرن التاسع عشر بوصفه نقدا ثقافيا، أي بوصفه استكشافا لتكوين الثقافة العربية وتقويما لها، يصدق ذلك على ما كتب في مجالات التاريخ والنقد الأدبي والاجتماع و السياسة وغيرها مما يشكل نقدا لها[1]، أي أن هذه الممارسات النقدية باختلافها كانت قريبة بشكل أو بآخر من مقولات النقد الثقافي ويمكن اعتبارها بدايات الظهور للفكر النقدي الثقافي، إذ يتجلى فيها "الصراع الفكري وتمخض عنه صراع منهجي في مقاربة النصوص والظواهر والأجناس والأشكال الأدبية والثقافية[2]، ولعل أبرز من مثّل هذه الموجة نجد: "طه حسين" في كتابه مستقبل الثقافة في مصر"، مالك بن نبي في كتابه "مشكلة" "الثقافة" و"محمود أمين العالم" وعبد العظيم أنيس" في كتابهما في الثقافة المصرية"، إلا أن هذه الكتابات كانت تدور حول الثقافة باعتبارها مرادفا للحضارة بمفهومها العام والشامل.

وقد اختلفت آراء الباحثين في مسألة الريادة ذلك أنّ هناك اتجاه آخر تبنى قضية ريادة النقد الثقافي للعراق لا سيما طروحات الناقد "حسين القاصد" في كتابه "النقد الثقافي" ريادة وتنظير وتطبيق العراق رائدا والذي يؤكد فيه أن للعراقيين الصولة الأولى في النقد

[1] سعد البازعي وميجان الرويلي، دليل الناقد الأدبي ، ص 309.

[2] آلاء ياسين دياب وغسان السيد، النقد الثقافي واستقباله في النقد العربي الحديث، مجلة جامعة حماة، مج1، ع2018،9، ص 168.

الثقافي، وهذا ما اعترف به الغذامي لكنه حاول التقليل من شأنه فهو لم يتطرق لـ"حسين مردان" ومقالاته ولم يتطرق لكتابات علي جواد الطاهر" في هذا المجال[1]، لكن بالعودة إلى ما جاء به كل من هؤلاء سواء كانوا من العراقيين أو غيرهم، نجدها تقترب فقط من مفاهيم النقد الثقافي وأفكاره نظريا، أما منهجيا فهي ليست سوى ممارسات تنويرية لم ترق لمستوى النظرية أو المنهج، فلا بد أن نعلم أن هذه الدراسات النقدية لم تكن لها ملامح منهجية محددة، فممارسات كل من طه حسين" و"مالك بن نبي" و"محمود أمين العالم" و"الأعرجي" و"علي جواد الطاهر" ما هي إلا ممارسات تنويرية في النقد الثقافي غير الممنهج، وما كان اقترابهم من حدود النقد الثقافي إلا لاهتمامهم بعلم الاجتماع[2] .

وتعود الإشارة الأولى إلى الدراسات النقدية في العالم العربي إلى الباحثين المتخصصين في الأدب المقارن، حيث اعتبروا أن هذا النوع من الدراسات ينافس الأدب المقارن في المكانة والاهتمام، فهذا" "حسام" "الخطيب" يعتبرها منافسا حيويا للأدب المقارن ، ويزداد حماسا للدراسات الثقافية حين يؤكد على أهميتها في ثقافتنا العربية لأنها تراهن على قضايانا المصيرية كثنائية الأنا والآخر" والأصالة المعاصرة، وهذا فيما عرضه ضمن فعاليات ملتقى "قضايا الأدب المقارن" بالقاهرة سنة 1995. [3]

أما الحديث عن النقد الثقافي الآن بمفهومه الغربي فهو يحيلنا مباشرة إلى الناقد السعودي عبد الله الغذامي" في كتابه الموسوم بـ "النقد الثقافي : قراءة في الأنساق العربية" الصادر سنة 2000، فهو يعتبر أول دراسة عربية تتبنى صراحة النقد الثقافي معلنة موت النقد الأدبي ومحاولة تقويض معالمه[4]، حيث دعا هذا الأخير في كتابه إلى موت النقد الأدبي وإحلال مكانه النقد الثقافي الذي انتقل بالدارسين من التركيز على التحديد الجمالي والأدبي في الأعمال الفنية والأدبية إلى الاهتمام بما هو غير مصنف في نظام المؤسسة،

---

[1] آلاء ياسين دياب وغسان السيد، النقد الثقافي واستقباله في النقد العربي الحديث، مجلة جامعة حماة، مج1، ع9، 2018، ص 169.

[2] المرجع نفسه، ص 170.

[3] مديحة عتيق، النقد الثقافي عند العرب ، المركز الجامعي سوق أهراس، الجزائر، ص 246-247.

[4] طارق بوحالة، نظرية النقد الثقافي في الخطاب العربي المعاصر، نماذج مختارة، ميلة، الجزائر، ص2.

إضافة إلى بحثه في كشف المخفي وراء ستار النصوص وتعرية السياقات الثقافية المضمرة تحته، كما تطرق في كتابه إلى كل جوانب النقد الثقافي تقريبا نظريا وتطبيقيا في محاولة منه أن يبرز أهم محطاته وتطوره في العالم الغربي والعالم العربي، فمحاولة الغذامي تمثل مسعى جادا لاستكشاف مشكلات عميقة في الثقافة العربية من خلال أدوات النقد الثقافي[1].

وقد برزت بعد دراسة الغذامي الكثير من الاهتمامات بالنقد الثقافي وانتشرت العدوى بين الدارسين، فتتابعت الدراسات وتوسعت وتفرعت في الساحة النقدية العربية، ونتيجة لذلك برزت عدة اتجاهات يمكن تصنيفها كما يلي: جماليات التحليل الثقافي، النظرية والنقد الثقافي المقارن، النقد الثقافي والأنساق الغيرية[2]، على أن كل اتجاه يمثله مجموعة من الباحثين في مختلف مؤلفاتهم وكتبهم ومداخلاتهم، فنجد الاتجاه الأول "جماليات التحليل الثقافي" يبرز عند "يوسف عليمات" إذ اعتمد في كتابيه جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجا" و"النسق الثقافي: قراءة في أنساق الشعر العربي القديم" طروحات جماليات التحليل الثقافي متبنيا مقولات التاريخانية الجديدة في محاولة للبحث عن الجمالية في بنى النصوص القديمة بناء على تشكيلات الأنساق الثقافية المضمرة[3]، أي أن هذه الدراسة تقدم تصورا جديدا للنص الشعري الجاهلي انطلاقا من طروحات جماليات التحليل الثقافي The poetics of cultural analysis الذي يولي الأنساق المتمركزة في البنى النصية أهمية كبيرة للكشف عن تشكيلات الأنساق ووظيفتها المؤسسة للمعاني والرموز والدلالات[4]، وإلى جانب "يوسف عليمات نجد كذلك "عبد القادر الرباعي في كتابه "تحولات النقد الثقافي" و"أحمد جمال المرازيق في جماليات النقد الثقافي : نحو رؤية للأنساق الثقافية في الشعر

[1] سعد البازعي وميجان الرويلي، النقد الثقافي واستقباله في النقد العربي الحديث، مجلة جامعة حماة، ص 309.

[2] ينظر: طارق بوحالة، نظرية النقد الثقافي في الخطاب العربي المعاصر، نماذج مختارة، ميلة، الجزائر، ص 4-6-7.

[3] سميرة حدادي واليامين بن تومي، التلقي العربي للنقد الثقافي بين التجاور والتحاور الممارسة النقدية عند إدريس الخضراوي نموذجا، مجلة المدونة ، مج 7 ، ع2، 2020، ص 669.

[4] يوسف عليمات جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجا ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 15.

الأندلسي"، فهدف هذه الدراسات أنها تحاول عرض وشرح معالمه النقد الثقافي- وروافده المعرفية[1].

في حين يمثل محسن جاسم الموسوي" و "عز الدين "المناصرة" و"حفناوي بعلي" اتجاه النظرية والنقد الثقافي المقارن، وتعتبر دراساتهم عرضا وتقديما" للأسس النظرية والمعرفية المهيئة لنشأة وبلورة هذا النقد عند العرب وعند الغرب[2]، أما النقد الثقافي وأنساق الغيرية فتمثله دراسات الباحث البحريني نادر" "كاظم" فهي من أبرز الدراسات النقدية التي تبحث في علاقة النسق الثقافي بالتمثيل الثقافي للغير[3]، وكما يصفها الناقد المغربي إدريس الخضراوي" أنها "من أخصب المحاولات النقدية العربية وأعمقها استثمارا لمقترحات الدراسات الثقافية وأدوات النقد الثقافي والأنثروبولوجيا في دراسة الأنساق الثقافية العربية وتحليلها....، وذلك من أجل فهم الذات الثقافية العربية انطلاقا من تفكيك أشكال تمثيلها للآخر[4].

إن هذه الجهود المبذولة في ميدان النقد الثقافي من طرف الباحثين والدارسين العرب لم تكن إلا محاولة منهم للخروج بالنقد الأدبي العربي من حيز النمطية والمناهج النقدية السابقة، والتي ظل يدور فيها مدة زمنية ليست هيّنة إلى مجال أوسع وأكثر تفتحا من ذي قبل والمتمثّل في النقد.

رابعا: الأنساق الثقافية وأنواعها

1- مفهوم الأنساق الثقافية:

إن النقد الثقافي كما سبق الذكر يقوم أساسا على قراءة ما وراء السطور، وبحسب منظور هذا النقد فإن كل النصوص تحمل وجهين أحدهما ظاهر والآخر مضمر مخفي

[1] طارق بوحالة، نظرية النقد الثقافي في الخطاب العربي المعاصر، ص4.

[2] سميرة حدادي واليامين بن تومي، مرجع السابق، ص 669.

[3] طارق بوحالة، نظرية النقد الثقافي في الخطاب العربي المعاصر ، ص 8.

[4] إدريس الخضراوي الدراسات الثقافية، على الرابط:

https://www.minculture.gov.ma/?p=3270#.YokxdahBxPY، تاريخ الدخول: 05/05/2023 في الساعة: 12:50 .

وعليه ترتكز مهمة الناقد الثقافي على تعرية المخفي وكشف أنساق الثقافة المضمرة في النصوص، ويستعمل مصطلح النسق الثقافي" أو "الأنساق الثقافية" في ميدان النقد الثقافي على أنها قوانين / تشريعات أرضية من صنع الإنسان – في مقابل التعاليم السماوية التي أنزلها الله تعالى في الأديان– وضعها الإنسان لضبط نفسه ولتصريف أموره في الحياة . فالأنساق الثقافية قابلة للتطور شأنها شأن كل عنصر في الحياة[1]، ومن هنا يتضح أن النسق الثقافي هو بمثابة النظام الذي يضعه الإنسان ليسير حياته ويتحكم فيها، وبما إنه مرتبط بواضعه معناه أنه قابل للتطور والتغير بحسب ما يقتضيه أسلوب الحياة، فهو يتصف بالدينامية والتحوّل داخل المجتمعات، الأمر الذي يجعل هذه الأنساق تصنّف ضمن الخصوصية ويكون بذلك لكل مجتمع أنساقه الثقافية الخاصة.

بناءا على ما سبق فإن الأنساق الثقافية تشمل المواضيع الاجتماعية والدينية والأخلاقية والسياسية وغيرها والتي بمرور الوقت تصبح مترسّخة ومفروضة في اللاوعي يقبلها المؤلف وجمهوره بصفة آلية، وما يجعل النسق الثقافي يتّصف بهذه الخاصية هو اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتوج الثقافي المنطوي على هذا النوع من الأنساق، وكلما رأينا منتوجا ثقافيا أو نصا يحظى بقبول جماهيري عريض وسريع فنحن في لحظة من لحظات الفعل النسقي المضمر الذي لابد من كشفه ، وقد يكون ذلك في الأغاني أو الأزياء أو الحكايات أو الأمثال[2].

ثم إن تمرير هذه الأنساق الثقافية وتداولها لا يتأتى إلا من باب الحيلة الجمالية "التي من تحتها يجري تمرير أخطر الأنساق وأشدها تحكما فينا ، وأمر كشف هذه الحيل يصبح مشروعا في نقد الثقافية، وهذا لن يتسنى إلا عبر ملاحقة الأنساق المضمرة ورفع الأغطية عنها[3]، فهنا يتبين مركز الدراسات في النقد الثقافي ألا وهو البحث أولا عن مختلف

[1] عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة: فلسفة المعنى بين نظام الخطاب وشروط الثقافة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص 150–151

[2] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، ص 79–80.

[3] المرجع نفسه، ص 77.

الأنساق الثقافية الظاهر منها ومحاولة كشف المضمر منها، ثم بيان كيفية سيطرتها وتربعها في لاوعي الإنسان حتى أصبحت جزءا من كيانه تتحكّم فيه لا هو يتحكّم فيها.

خلاصة القول إن مفهوم الأنساق الثقافية يمكن تحديدها بأنها نظم systems بعضها كامن وبعضها ظاهر في أية ثقافة من الثقافات، وتتفاعل في هذه النظم العلاقات المجازية عن التذكير والتأنيث الثقافيين والعرق والدين والأعراف الاجتماعية والقيود السياسية والتقاليد الأدبية والطبقية وعلاقات السلطة ، وهذه النظم ذات صلة وثيقة بإنتاج الخطاب الإبداعي والفكري وطرائق تلقيه[1]، انطلاقا من هذا القول تقسّم الأنساق الثقافية إلى نوعين هما: الأنساق الثقافية الظاهرة والأنساق الثقافية المضمرة، ويركّز النقد الثقافي على النوع الثاني كونه يشكّل لبّ العمل الأدبي أو الفني كما يتطلب بحثا وجهدا لكشفه على خلاف الأنساق الظاهرة فدلالاتها مرمية على حافة الطريق.

2- أنواع الأنساق الثقافية:

إن ما يجعل أي نص يدخل مجال اهتمام النقد الثقافي هو احتواؤه على نسقين، أحدهما ظاهر والآخر مضمر ، بحيث يكون المضمر منها نقيا ومضادا للعلني، فإن لم يكن هناك نسق مضمر من تحت العلني فحينئذ لا يدخل النص في مجال النقد الثقافي، ما يجعل النسق الثقافي المضمر يحتل منزلة رئيسة في الممارسات النقدية الثقافية، ويأتي مفهوم النسق المضمر في نظرية النقد الثقافي بوصفه مفهوما مركزيا، والمقصود هنا أن الثقافة تملك أنساقها الخاصة التي هي أنساق مهيمنة، وتتوسل لهذه الهيمنة عبر التخفي وراء أقنعة سميكة وأهم هذه الأقنعة وأخطرها هو في قناع الجمالية[2]، فالجمالية ليست إلا تمويها وستارا لأنساق هي أجدر بالظهور، ذلك أنها تقوم بعملية تضليل وتغطية عن مخبوءات النصوص والأعمال الفنية، ومن هنا وجب على الناقد الثقافي توجيه اهتمامه وجهوده البحثية إلى التركيز على كشف الأنساق الثقافية المضمرة تحت الظاهر منها وتحت عباءة البلاغي.

---

[1] ضياء الكعبي، السرد العربي القديم: الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص 22-23

[2] عبد الله الغذامي وعبد النبي اصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، دار الفكر المعاصر ، لبنان، ط1، 2004، ص 30.

الفصل الثاني

الأنساق الاجتماعية والثقافية

في رواية "ياسمين العودة"

أولا: الأنساق الاجتماعية

1- العادات والتقاليد

2- ظاهرة سحب حضانة الاطفال العرب و المسلمين في الغرب

ثانيا: الأنساق الثقافية

1- العنصرية

2- الاغتيال

أولا: الأنساق الاجتماعية

يعيش الناس في هذا العالم ضمن مجتمعات مختلفة، وكل مجتمع يتميز عن غيره ومعروف أن الإنسان خلال مساره في الحياة يتعرّض لمؤثّرات وضغوطات ومشاكل مختلفة، والتي قد تحول دون قيام أفراد المجتمع بأدوارهم الاجتماعية، فيلجأ إلى فن الرواية الذي يترجم به أحاسيسه ويطرح من أفكاره المختلفة، و ذلك بالتقاط الصور الحية والنماذج التي تشخّص فيها أحواله فتتجسّد هذه المعاناة في روح الكاتب أو الكاتبة من خلال أفكاره، فالرواية أحيانا ترتكز على ما هو حقيقي، وما هو ملاذ للفرد الذي يود التخلص من الحمل الذي يثقل كاهله، سعيا منه إيجاد و استنتاج الحلول لمشاكله "المشكلة الاجتماعية هي تلك الصعوبات ومظاهر سوءا لتكيف الاجتماعي السليم التي يتعرض لها الفرد فتقلل من فاعليته، وكفايته الاجتماعية وتحدد قدراته على بناء علاقات اجتماعية ناجحة مع الآخرين، وعلى تحقيق القبول الاجتماعي المرغوب"[1].

بدأت أحداث رواية ياسمين العودة بسرد لأحداث أبطالها الرئيسية ياسمين وعمر و رنيم ويعتبرون الشخصيات المحرّكة للأحداث منذ بدايتها إلى نهايتها، بالإضافة إلى شخصيات أخرى اتخذتها الكاتبة من جنسيات مختلفة حتى تبين لنا بعض المعاناة التي يتعرّض لها المسلمون والعرب في فرنسا، وبينت الوضع الاجتماعي المنحرف الذي جمع بين العنصرية والقتل وسحب الأطفال المسلمين والعرب عنوة من أسرهم، كما بيّنت بعض القيم الاجتماعية العالية التي جمعت بين شخصيات الرواية من حب وصداقة و تعاون وصبر و إخلاص حيث جمعت الروائية خولة حمدي بين الآفات الاجتماعية والقيم الاجتماعية في الرواية.

1- العادات والتقاليد:

العادات والتقاليد هي أعراف يتوارثها الأجيال لتصبح جزءا من عقيدتهم وتستمر ما دامت تتعلق بالمعتقدات على أنها موروث ثقافي فهي تعبير عن معتقد معين أما التقاليد فهي

[1] محمد المحسن: المشكلات الاجتماعية للشباب والطلاب بالجامعات السودانية وعلاقتها ببعض التغيرات النفسية والتربوية، مقال منشور على الموقع https://www.b-sociology.com/2019/09/pdf_52.html

مجموعة من القواعد السلوكية التي تنتج عن اتفاق مجموعة من الأشخاص وتستمدّ قوّتها من المجتمع وتدلّ على الأفعال الماضية القديمة الممتدّة عبر الزّمن، والحكم المتراكمة التي مرّ بها المجتمع و يتناقلها الخلف عن السلف جيلا بعد جيل وهي عادات ثقافية استمرّت فترات طويلة حتى أصبحت تقليدا أو يتم اقتباسها من الماضي إلى الحاضر ثم إلى المستقبل فهي بمثابة نظام داخلي لمجتمع معين[1].

أ) الأعراس:

تعد الأعراس من أبرز العادات التي صورتها الرواية، في حفل زواج هيثم وياسمين يتضح لنا الاختلاف الثقافي بين العرس التقليدي الذي اقترحته عليها أمها والحفل الفرنسي الذي اقترحه لها أبوها "**بين العرس التقليدي الذي تمسكت به زهور بيديها و أسنانها، وحفل الاستقبال الرسمي الذي لم يتنازل عنه البرفيسور عالي الشأن ، ضاعت جهود هيثم و ياسمين التوقيفية**"[2]، والد ياسمين المتأثر بالثقافة الغربية يريد إقامة الحفل حسب الأصول الغربية بينما "زهور" أم ياسمين تريد إقامة العرس التقليدي التونسي أو العربي، فقد صورت لنا الكاتبة في روايتها طريقة إقامة الأعراس التقليدية التونسية و الحفلات الغربية الفرنسية "**كما تظن الأعراس العربية أكثر تعقيدا من غيرها حيث يمتد بعضها لأسبوع كامل بين عقد القران و الولائم اليومية وحفلات الحناء النسائية وصولا إلى السهرة الأخيرة التي يجتمع فيها العرسان لكن ذلك الأسبوع برمته لا يضاهي تعقيد العشاء الرسمي الوحيد الذي يحرص عليه الفرنسيون!**"[3] فالمعروف لدى العرب قبل الزواج تكون هناك ثلاثة أيام أو أسبوع للاحتفال بالعريسين ثم يأتي يوم العرس من مظاهر البذخ و الصالات وحنة العروس والعريس بينهما.

[1] فايزة اسعد ، العادات الاجتماعية والتقاليد في الوسط الحضري بين التقليد والحداثة، اشراف حجيج الجنيد ، جامعة وهران 2011-2012 .

[2] خولة حمدي، ياسمين العودة، ص 09.

[3] المصدر نفسه، ص 11.

ففي الغرب الاحتفال بالعرس يكون يوما واحدا و أحيانا لا يقومون بالاحتفال ويكتفون فقط بكتابة عقد الزواج في المحكمة أو في الكنيسة ثم يذهب العريسان إلى أي بلد يستمتعان بحياتهما الزوجية، فالكاتبة ذكرت في الرواية كيف يكون إقامة العرس التقليدي والحفل الفرنسي من خلال زواج ياسمين و هيثم "**ثم رفعت السفرة، وتجمعت النسوة حول العروس، تقدمت ميساء وهي تحمل سبت الحناء المغلف بقماش أبيض مطرز، والمليء بعلب الحلوى و المكسرات المجهزة من أجل المدعوين ، أوقدت الشموع على وقع الزغاريد، ثم أخذت زهور تخضب كفي لحنتها بعجينة الحناء بينما ميساء توزع الحلوى، بعد ذلك تقاسمت الحاضرات ما تبقى من العجينة وزينت كفوفهن بها، ثم حفظنها باللفافات القطنية حتى تجف كان كل شيء بسيطا ودون تكلف، والفرح غامرا وتلقائيا**"[1].

في البلدان العربية عادة ما تكون "حنة العروس" يوم قبل الزفاف، فأم العريس هي التي تضع "الحنة" في يد زوجة ابنها، هكذا هي الأعراس العربية، تميز عرس ياسمين وهيثم أيضا بالغناء العربي "**ارتفعت أصوات ضرب دف وغناء عربي! استأذن سامي من ضيوفه في حرج، ثم هرول إلى منصة الموسيقيين وهو يستشيط غضبا، حدق في فرقة الغناء التقليدي بأزيائها العربية ذات الألوان الوطنية التونسية الحمراء والبيضاء، ودفوفها الرنانة وقد ارتفعت أصواتها بالمديح النبوي**".

قالت ناتاشا "**الموسيقى التونسية رائعة! يجب أن تزور تونس قريبا.. تعجبني هذه التفاصيل الفولكورية المدهشة**"[2].

لقد كان العرس على الطريقة التقليدية التي حظرت إليه أمها و والدها المتأثر بالثقافة الغربية عزم أن يكون حفل الزفاف على الطريق الباريسية الكلاسيكية ".. **وبين الدقة التي يجب توزيع قائمة المدعوين بها على الموائد في حفل فرنسي إلا يوضع اثنان على خلاف على نفس الطاولة.. ولا يفرق بين صديقين ويجب الحصول بصفة مسبقة على تأكيد كل فرد مدعو.. وتعويض كل من يعتذر بالشخص الذي يليه على قائمة الانتظار، حتى لا**

[1] خولة حمدي، ياسمين العودة، ص 202.

[2] المصدر نفسه، ص 218.

يبقى مقعد واحد شاغر![1] "كانت هذه الخطوات لإقامة حفل زفاف في باريس الذي قام به البروفيسور كمال والد ياسمين فقد كان الحفل الفرنسي يتميز بالبساطة و اختلافه عن العرس التقليدي "**في الخلفية، كانت فرقة أوركسترا تعزف مقطوعات من الموسيقى الكلاسيكية الهادئة لشوبان، تتخللها نغمات وكمنجة حادة بين الفينة والأخرى**"[2].

فلقد تنوعت العادات و التقاليد من مجتمع لآخر فكل مجتمع له ثقافته وعادته الخاصة به فثقافة الأعراس التي يحملها كل مجتمع أو المجتمع العربي خاصة تختلف بكثير عن المجتمع الغربي فكل واحد يحمل عادة وتقليدا.

ب) المأكولات التقليدية:

عكست الرواية عادات وتقاليد الأكل التونسي أو الأكل العربي في فرنسا في عرس هيثم وياسمين الذي أقيم بفرنسا، فكل مجتمع يتميز بتنوع وثقافة الأكل الخاصة به في الأعراس نذكر ثقافة الأكل التونسية التي ذكرتها الكاتبة "**فشتان ما بين العفوية التي تجمع الأقارب و الأحباب حول أكلة كسكسي تونسي بلحم الخروف منزلية التحضير**"[3] فالكسكسي في تونس يعد الطبق الوطني التقليدي ومن الممكن تحضيره بأشكال مختلفة بالدجاج أو بلحم الخروف أو غيره، فالكاتبة صورت لنا اختلاف الثقافات أو العادات و التقاليد حتى في الأكل، فالأكل الفرنسي في الأعراس هو عبارة عن أطباق فرنسية فاخرة "**وهكذا يستمر الضغط حتى اللحظة الأخيرة! لأن الطباخ سيعد مائة طبق مقبلات ومائة طبق رئيسي ومائة قطعة حلوى بلا زيادة أو نقصان**"[4].

"**كان العشاء على التقليد الفرنسي الأصيل، كانت القاعدة الكلاسيكية أن تشمل القائمة على ثلاثة أطباق: مقبلات وطبق رئيسي وحلوى قدمت أولا أطباق المحار والسلطعون مرفقة بسلطة الخضار المطعمة باليود ثم جاء الطبق الرئيسي... قطع طرية**

[1] خولة حمدي، ياسمين العودة ، ص : 11.

[2] المصدر نفسه ، ص 214.

[3] المصدر نفسه ص 214.

[4] المصدر نفسه، ص ن.

من لحم خاصرة البقر ترافقها صلصة الفلفل الأسود والفطر البري المشوي بالإضافة إلى قطع بطاطس المحمرة"[1] فتعتبر هذه الأطباق من أشهر الأكلات في فرنسا يعتمدونها في الحفلات مثل الأعراس.

أما في الأكل التونسي الذي اعتمدته أم ياسمين في "الحنة" كان الطعام التقليدي"**حرصت على أن يكون الطعام دسما كما ينبغي لا يختلف في شيء عن أعراس البلد التي ما تزال حية في ذاكرتها، رغم الغربة التي تدوم منذ عقدين، لم تنس حبات الزبيب والحمص والحلوى على وجه قصعة قبل تحويلها إلى السفرة، و رصفت الفلفل الحار المقلي إلى جوار قطع اللحم**"[2]. رغم غربتهم لمدة طويلة إلا أنه لا يمكن التخلي عن العادات والتقاليد الموروثة.

إن صورة المجتمع الثقافية تنقل عن طريق عاداته وتقاليده، التي تعتبر من المكونات الرئيسية لهويته، وقد حملت الرواية في طياتها كثيرا منها إلا أن أبرزها كان الأعراس و الأكل، فالأول بين الاختلافات في الأعراس المجتمع العربي التونسي خاصة والحفلات الفرنسية البسيطة، أما الثانية التنوع الثقافي أو العادات و التقاليد لكل مجتمع في الأكل.

2- ظاهرة سحب حضانة الأطفال العرب و المسلمين في الغرب:

تنتشر في الدول الأوروبية العديد من المؤسسات الحكومية المختصة بمتابعة حالات العنف ضد الأطفال و التأكد من نمو الطفل داخل بيئة صحية وحصوله على كامل حقوقه من التغذية والصحة و العناية، غير أن ممارسات تلك المؤسسات تسبّب جدلا واسعا إثر انتشار عدة حالات أخذ أطفال العرب والمسلمين عنوة من أهلهم، مما تسبّب في ذعر للأهل حديثي العهد بالقوانين الأوروبية، وينشر بعض المراقبون إلى انتشار حالات تتجنب فيها العائلات المهاجرة إلى أوروبا اصطحاب أطفالها إلى المستشفى أو الأطباء النفسيين وذلك خشية أي بلاغ تقدمه تلك الجهات إلى مؤسسة رعاية الأطفال التي تأخذ بدورها الأطفال

[1] خولة حمدي، ياسمين العودة، ص 218.

[2] المصدر نفسه، ص 214.

عنوة من أهلهم دون التثبت من حقيقة وضع الطفل، الأمر الذي يؤدي في نهاية المطاف إلى تأثر صحة الطفل كنتيجة غير مباشرة لممارسات منظمات حقوق الطفل.

وحدث بالفعل في الرواية أن سحبت الدولة الفرنسية حضانة أطفال "سكينة" المرأة السورية التي تغربت إلى فرنسا بعد زواجها بسبب العمل الذي حصل عليه زوجها هناك، وبعد إنجابها لطفلين "جاسر و رامز " حصل معها الحادث المروع الذي سلب منها أغلى ما تملك و ذلك في سردها لأحداث القصة لصديقتها ياسمين " **كان رامز في الثالثة والنصف من عمره حين حصل الحادث المشؤوم، تركت الولدين يلعبان في حوض الحمام و خرجت لأرد على اتصال من شقيقتي داليا في غيابي حاول رامز الخروج من الحوض ليجلب لعبة سقطت على الأرض أثناء لهوه مع أخيه لكن قدمه زلت على البلاط الزلق المبتل و ارتطم رأسه بمغسلة السراميك، كانت الوفاة آنية، جاسر أصيب بصدمة بالغة**"[1] .

هذا الحادث الغير مقصود من الأم سكينة الذي أدى إلى وفاة ابنها الصغير "رامز" تسبّب أيضا في سحب حضانة ابنها الأكبر "جاسر" من الحكومة الفرنسية التي قضت بأنها أم مهملة، غير قادرة على تحمل المسؤولية.

"**كنت ألتفت إلى زوجي كالمستغيث، لأنني لم أكن أفهم شيئا، لكن عينيه الزائغتين عبّرتا عن ذعر يماثل ذعري، كان ما فهمته صحيحا، المرشدة الاجتماعية قضت بأني أم مهملة، إهمالي ذهب بحياة ابني الأول، ولمصلحة الطفل الثاني سيتم الاحتفاظ به في رعاية الإرشاد الاجتماعي، ريثما يجدون له عائلة حاضنة**"[2] .

الكابوس الذي ألحق بسكينة من طرف الحكومة الفرنسية لسحبها ابنها عنوة اثر حادث لم يكن قصدها، فمعظم الدول الأوربية تطبق قانون سحب الحضانة من العرب و المسلمين حيث يرون أن بقاء الأطفال في كنف أسرة فاشلة أسوء لهم، لذا تقوم الجهات المختصة في عموم الدول الأوروبية ، بسحب حضانة عدد من الأطفال المقيمين العرب من آبائهم، إذا لاحظوا أي ممارسات سيئة بحقهم أو نابعة من تفكك أسري يضر بهم، لكن

[1] خولة حمدي: ياسمين العودة، كيان للنشر والتوزيع ، الجيزة ، مصر ، 2021، ص 78.

[2] المصدر نفسه ص 78.

سحب الحضانة من الأهل ليس دائما الخيار الأفضل، المطلوب هو توعية الأهل و إعطاؤهم فرصة للالتئام بالمحيط و اكتساب الجيد منه و أحيانا تكون أخطاء غير مقصودة لا يقصدها الأهل لإيذاء أطفالهم وهذا مع حدث مع سكينة لسحبها لطفلها نهائيا "**لم أكن أضرب أولادي قط أو أؤذيهم جسديا أو معنويا بأي شكل من الأشكال ! كان ما حصل حادثة! حادثة ياعالم !**"[1].

كانت سكينة التي نرى حزنها على تشرد أطفالها بسبب خطأ الإهمال منها، تعاني كثيرا لسحبها لطفلها كانت أحيانا تفقد صوابها عندما تذهب إلى قاعة المحكمة ويتمادى المدعي العام في اتهامها بالإهمال وعدم المسؤولية تقول "**كانت حادثة واحدة تعلمت منها درس عمري، لكنهم كانوا مصرين على إعدامي أخلاقيا وتدميري نفسيا**"[2].

نجد أن الكاتبة خولة حمدي "قد عاينت أحداث ومشاهد من الواقع في قصة شخصية سكينة" فمعظم اللاجئين أو المتغربين في الدول الأوروبية يعانون من سحب أطفالهم إذا لحظوا أي ممارسات سيئة بحقهم أو إهمالهم وهذا ما حدث مع سكينة بعد سحبها لطفلها جاسر الأكبر و معانتها لاسترجاع ابنها الاكبر فبعدما استعادت حياتها الزوجية نوعا من الاستقرار فمن هذه المأساة أضفت على علاقتها مع زوجها نوعا من الروحانية وطريقهما للتوبة و اللجوء إلى الله، فبعد مرور ثلاث سنوات كانت فترة حملها بابنتها ميار التي قررت أن تعوض بها حرمانها لابنها وتنسى آلام الماضي، فبعد إنجابها لميار أعادت إليها الحياة وزاد من تماسكها مع زوجها كأنها طفلهما الأول كان ذلك قبل أن تستيقظ من أوهامها الواهية تقول: "**بعد أسبوعين من ولادة ميار، دخلت علينا المرشدة الاجتماعية لانتزاع الأمل الأخير، كان عليها أن تأخذ ميار أيضا وتضعها عند عائلة حاضنة أخرى! كنت غبية حين اعتقدت أن تهمة (الأم غير الصالحة) ستسقط عني بالتقادم لكن بد أنه لا مفر من أن تتبع كل أولادي تلك اللعنة "لعنتي" .لعنة سممت حياتي وانتهت بي إلى فقدان الأمل**"[3].

---

[1] خولة حمدي: ياسمين العودة، ص 80.

[2] المصدر نفسه، ص 80.

[3] المصدر نفسه ص 82.

"فسكينة" تعرضت لسحب ابنتها مرة ثانية لأن القوانين الفرنسية و المحاكم الفرنسية متشددة جدا فطالما بقيت على الأراضي الفرنسية لا تستطيع إنجاب أطفال آخرين وتستبقيهم إلا إذا امتنعت عن تسجيلهم في ملفات السجل المدني ، تقول "**ميار كنت حريصة على رؤيتها مرة في الأسبوع. رغم أنها تقيم على مسافة ساعة مع عائلتها الجديدة و رغم ما يكلفني إياه النقل من مصاريف، إلا أنني لم أخلف موعدا واحدا إلا الظروف طاغية، ورغم أنه لم يكن يسمح لي بلمسها أو حملها بين ذراعي، لأنني "خطر عليها"**[1].

والدة لا ترى أبناءها إلا مرة في الأسبوع، كان قلبها يحترق من أجلهم فما أقبح أن تحرم أم أولادها تراهم بعينها يسحبون منها ولا تستطيع فعل شيء أمام الحكومة الفرنسية.

أصبحت هذه الظاهرة الاجتماعية منتشرة بكثرة في الدول الأوروبية.

ثانيا: الأنساق الثقافية

1- العنصرية:

- **العنصرية لغة:** لم يرد مصطلح العنصرية في المعاجم القديمة،و ما وجد في المعاجم القديمة، وقد يتوافق مع هذه اللفظة هي: كلمة عنصر بفتح الصاد وضمها: الأصل، وما في معناه من الجنس والنسب والحسب.

- **العنصرية اصطلاحا:** تعددت التعريفات حول مصطلح العنصرية نذكر منها:

. أن العنصرية تعبّر عن السلوكيات والمعتقدات التي تعلى من شأن فئة من الناس، وتعطيها الحق في التحكم بفئة أخرى، و تسلب حقوقها كافة لكون الفئة الثانية تنتمي إلى عرق أو دين ما، فتعطى الفئة الأولى الحق في التحكم بمصائرهم وممتلكاتهم[2].

والعنصرية عقيدة تستند إلى أسطورة مناقضة للدين الحق، والعلم الصحيح حول تفوق، أو نقص هذه الأجناس، أو تلك، محاولة بذلك تبرير السياسة العدوانية ضد الكائن البشري، التي تقوم على الاغتصاب و الإرهاب و الاستبداد، فالعنصرية تمثل خطرا كبيرا على الوجود الإنساني حيث إنها تبرز نزعاته الشريرة، ويمتد خطرها إلى الأفكار والنظريات والنظم

[1] خولة حمدي: ياسمين العودة، ص 84.

[2] عمار كاظم، أسباب نشوء التمييز العنصري، مقال مجلة النهار، منتدى الهدي، العدد 3،22 بتاريخ 18 مارس 2018م.

السياسية و الاجتماعية، حيث يطوع ويسخر أصحابها فروض العلم، ونظرياته في تبرير الظلم، والاستعباد، كما أننا نجد أن أسباب العنصرية، ودوافعها تتطور بتطور الإنسان، وتختلف باختلاف حاجاته وميوله بل وتجدد أسبابها، ودوافعها في ظل إخفاق الحرية والعدالة وحقوق الإنسان ومن خلال التعريفات السابقة نستطيع أن نقول أن العنصرية هي اتجاه يذهب أصحابه إلى إدعاء التميز، والفوقية على الآخر، إما باعتبار الدين أو الجنس أو العرق، أو اللون وبالتالي يسهل على أصحاب هذا الاتجاه التسلط على من دونهم من وجهة نظرهم واستعبادهم، والاستيلاء على ممتلكاتهم.

وتعد العنصرية ظاهرة ثقافية عالجتها خولة حمدي في روايتها حيث جسدت واقع الاختلاف الذي يتعرض إليه المسلمون والعرب في الغرب.

لقد أعطت الروائية "خولة حمدي" نصيب لإبراز المعاناة التي يتعرض إليها العرب و المسلمون من العنصرية في روايتها "ياسمين العودة".

ياسمين بطلة الرواية كانت تعاني من العنصرية و الاحتقار من أجل الحجاب في فرنسا حيث تسرد لنا خولة حمدي معاناة ياسمين و رفيقاتها بسبب الحجاب في الجامعة "**في سنوات دراستها الجامعية الأولى، كان عليها أن تراوغ أمن الجامعة الذين يتلقون تعليمات متباينة في كل مرة تارة يتساهلون ويتركونها و رفيقاتها يمررن، و أخرى يقفون بالمرصاد ويتحينون فرصة الإنقضاض على كل (قطعة قماش) زائدة عن الحاجة**"[1]تبقى مسألة الزي الإسلامي في الدول الأوروبية أو فرنسا بالتحديد عائقا للبنات المحجبات حيث يعتبرونه يشكل مخاطر أمنية و بالتالي يجب منعه وهذا ما تعرّضت إليه ياسمين في فرنسا و بعض رفيقاتها عند الذهاب للجامعة كانوا يتعرضون للإستهزاء و السخرية من طرف الأمن الجامعي تروي لنا الروائية فتقول:

"**كانت أياما عصيبة، تسلحت فيها بالأوشحة الإضافية لتعوض تلك (المصادرة) بعد تجاوز (حواجز التفتيش) وبمناديل الموضة صغيرة الحجم التي ترضى عنها الإدارة**

[1] خولة حمدي، ياسمين العودة، ص 146.

أكثر من غيرها و بالمناديل الشعبية التقليدية المثيرة للضحك بألوانها الفاقعة وحتى "بالسفساري" الحريري الذي ينزلق على الرأس ويكشف شيئا مما يراد إخفاؤه إذا ما أوقفت لإبراز بطاقتها الجامعية أو هويتها"[1].

كان الحجاب عندهم محط ضحك و استهزاء ، فقد كانت ياسمين تكشف شيئا من شعرها كأنها موضة لعبورها مدخل الجامعة، فقد كانت العشرات بل المئات في جامعتها يتعرضن للتضييق و التنكيل بسبب الحجاب، و قد عرفت فرنسا برفضها الحجاب بتاتا حيث فرضت قوانين عدم توظيف المحجبات وحظر كل أغطية الوجه كاملة مما زادت معاناة المسلمات في فرنسا.

جسّدت الروائية حدث آخر مرت به ياسمين وزوجها هيثم عند السفر إلى إيطاليا لقضاء شهر العسل في رحلتهم إلى متاحف "الفاتيكان" كان الزحام شديدا على أبواب الكاتدرائية والسياح في طوابير انتظار ،و كان الدخول إلى "الكاتدرائية" يتطلب زيا محتشما بينما "**هيثم و ياسمين**" **ينتظران لاحظا زوجان فرنسيان يسببان بلبلة بعد منعهما من الولوج، بعد أكثر من ساعة من الانتظار "كانت السيدة ترتدي تنورة قصيرة وقميصا بلا أكمام بينما تعلن اللافتات المبثوثة حول الساحة أن زيارة دور العبادة تقتضي زيا محتشما... ابتعدا عن المدخل مضطرين، وقد بدا عليهما استياء شديد، وحينما كان يزوران الساحة، اقتربا من هيثم وياسمين فرفع الرجل ذراعه .... وقال : يسمحون للإرهابيين بالدخول ويطردوننا؟ يا لهذا التخلف"[2].**

وصف السائح الفرنسي لياسمين وهيثم بأنهما إرهابيين توحي بالمنطق الغربي ، صورة الفتاة المحجبة في تصور الغرب على أنها إرهابية، فهم يعتبرون دين الإسلام هو دين الإرهاب.

أصبحت معاناة الفتاة المحجبة في الغرب تزداد تعقيدا، ضايق هذا التصرف السيء هيثم خاطبه بلهجة صارمة "**من تسمي إرهابيا؟**". **بعد ما لاحظ أمن حرس الكاتدرائية**

[1] خولة حمدي، ياسمين العودة، ص 146.

[2] المصدر نفسه، 227- 228.

المشاحنة على وشك الاشتعال بين هيثم والسائح الفرنسي الذي وصفهم بالإرهابيين قام بالتدخل "مالذي يحصل هنا؟"

"كان الناس قد أخذو يلتفون بفضول ويلتفون حول المتخاصمين تدخلت سائحة إيطالية في منتصف الخمسينيات، كانت في الجوار منذ البداية قالت: نعتهم بالارهابيين".

ذهب أمن الحراسة إلى هيثم وطلبوا منه تقديم شكوى في حال لم يعتذر سيسجنون لمدة ثمان أيام "فعندئذ أدرك الرجل أن القرار بيد هيثم فاستدار ليواجه وقال بنبرة ندم: أنا آسف جدا ياسيدي.. أقسم لك لم أكن أقصد الإساءة" بدا على هيثم التفكير الجاد استدار ليخاطب ياسمين: ما رأيك؟ هل يستحقان العفو؟ قالت: لا يستحقان.. لكن الرحمة من أخلاقنا.. العفو عند المقدرة[1] هنا ظهرت القيمة الأخلاقية لدى هيثم وياسمين رغم التمييز العنصري الذي تعرضا إليه، و هنا الروائية خولة حمدي سلطت الضوء على المعاناة التي تتعرض إليها المحجبات في الدول الغربية من عنصرية وغيرها.

2- الاغتيال:

هو جريمة يقع فيها الاعتداء بالتخطيط سرا، أو على حين غرة، بحق فرد أو جماعة، لتحقيق أهداف سياسية.

فعملية الاغتيال تصدر عن تصميم مسبق، بهدف التخلص من الطرف الآخر ، ينفذه نظام مستبد أو مافيات أو رجال عصابات، متجاهلين أن حكم القانون فوق الجميع، فالإغتيال هو مصطلح يستعمل لوصف عملية قتل منظّمة ومتعمّدة تستهدف شخصية مهمة ذات تأثير فكري أو سياسي أو عسكري أو قيادي، ويكون مرتكز عملية الاغتيال عاد لأسباب عقائدية أو سياسية أو اقتصادية أو انتقامية تستهدف شخصا معينا يعتبره منظموا عملية الاغتيال عائقا في طريق انتشار أوسع لأفكارهم أو أهدافهم، ويتراوح حجم الجهة المنظمة لعملية الاغتيال من شخص واحد فقط إلى مؤسسات عملاقة وحكومات[2].

[1] خولة حمدي، ياسمين العودة، ص 146.

[2] يوسف حسن يوسف: الملفات السرية للمؤسسات (تاريخ الاستخبارات الإسرائلية)، القاهرة شركة الشريف ماس للنشر و التوزيع، 2015،ط 2. ص 151.

وفي تعريف آخر فإن جريمة الاغتيال هي ظاهرة استخدام العنف والتصفية الجسدية، بحق شخصيات سياسية كأسلوب من أسالب العمل و الصراع السياسي ضد الخصوم بهدف خدمة اتجاه معين أو غرض سياسي.

إن حوادث الإغتيالات السياسية تعدو واحدة من أكبر المشكلات الشائكة والمعقدة التي يعاني منها المجتمع الدولي على مر التاريخ ، حيث حفلت الدول المختلفة بالعديد من حوادث الإغتيال التي ارتكبت ضد شخصيات وقيادات سياسية رفيعة المستوى للتخلص منهم، فمرتكبها يبرر فعله هذا إما بدافع وطنية لخدم الصالح العام، أو بتحريض من أحزاب أو تشكيلات أو جماعات لها أهداف سياسية بحتة، وبالتالي تحتاج هذه العمليات لدرجة عالية جدا من التخطيط المنظم والتفكير المتكامل والدقة لتحديد الهدف وبالتالي إصابته، حيث تتراوح مدى تعقيد عملية الإغتيال من بسيطة إلى عالي التعقيد، وذلك صعوبة أو سهولة الوصول إلى الهدف المطلوب، وعملية متكاملة كهذه تحتاج إلى مختلف الوسائل لتحقيقها، ويسبق استخدام تلك الوسائل مرحلة مهمة تتمثل في جمع المعلومات الإستخبارية عن الهدف المطلوب، باستخدام تقنيات متطورة كالطائرات بدون طيار أو الكاميرات الصغيرة أو أجهزة التصنّت.

فعملية الإغتيال ظاهرة اجتماعية سياسية عالجتها "خولة حمدي" في روايتها حيث جسدته في القضية الفلسطينية بعد دخول هيثم زوج ياسمين وعمر صديقه في مشروع صناعة الألعاب والطائرات بدون طيار فبعد نجاح المشروع قرّر عمر صديق هيثم وصاحب فكرة هذا المشروع أن يرسل الطائرات التي يصنّعونها والتي تمثل وسائل تواصل وتجسس متطورة إلى أصدقائه في غزة "**نحن نتغنى منذ صغرنا بالقدس وبتحرير الأقصى ... فما رأيك بمن يعيش قولا وفعلا من أجل تلك الغاية الكبرى ؟ كيف؟**

. أنت تعلن أننا نعمل على نوعين من الألعاب ... ألعاب ذات كفاءة محدودة وهي التي سنطرحها في السوق ... و ألعاب ذات كفاءة عالية ، لكنها ليست للتسويق ، ماذا تعني؟ ، لم أنو قط ترويجها.. إنما سنرسلها إلى أصدقائنا في غزة[1]

كان عمر قد عمل على مساعدة أصدقائه في فلسطين فكان هذا المشروع هو الوسيلة لإرسالهم هذه الطائرات، وافق هيثم على شراكة عمر الذي كان مترددا، لكن تغير بعد إعلان هيثم موافقته.

"كان هناك نوع من الاطمئنان في النظرات المتواطئة التي بيننا لأنها خفية من زملاء العمل وكثير من التناسق والحماس في السويعات التي يمضيانها في الشركة بعد هبوط الظلام، وخلو المبنى إلا منهما، تلك الريبة التي سكنت فؤاده طويلا. حلت محلها سكينة عجيبة، أنسا بصاحبه وبهجة برفقته"[2].

كان عمر مطمئنا لهيثم وللمشروع كان قد وجد الصديق والشريك الحقيقي الذي يحفظ سره ويسانده في إرسال الطائرات إلى غزة يستعملها المقاومون لتحلق فوق ثكنات جنود الإحتلال، تجتاز حواجزهم وتتقضى أسرارهم العسكرية. لكن لم تكن تلك الآمال بعيدة حتى كشفوا من قبل الاحتلال الصهيوني فأرسلوا لهم جاسوسة لجلب أخبارهم "**إنها صحفية من جريدة لوبوان (lepoint) تقوم بتحقيق عن الشركات الناشئة اتصلت بي ... فلم أر مانعا من اغتنام الفرصة، إنها دعاية مجانية هل أخطأت؟**

سكت عمر متفكرا ثم قال محذّرا:

أنت تعلم ما ينبغي قوله وما لا يجوز كشفه. حدجه هيثم بنظرة عتاب وقال: لست غرا. لقد كانت تلك الصحفية جاسوسة استغرقت بضع الوقت لكسب المعلومات الكافية من "هيثم وعمر"لم تقل لهم شيئا عن نشر لقائهم في المجلة.

[1] خولة حمدي: ياسمين العودة، ص 342.

[2] المصدر نفسه، ص 345.

كان عمر خائفا ، لم تعجبه أسئلتها وطريقة التعامل معها وكان ذلك صحيحا على حسن ظنه "تريث عمر قبل أن يقول بصوت منخفض:[1]

أشعر أنني مراقب! ولماذا قد تكون مراقب؟ ما الذي سيراقبك؟

تجاهل عمر سؤاله، وهو يشير إلى النافذة: **انظر تلك الشاحنة السوداء ذات النوافذ المعتمة إنها متوقفة في رأس الشارع منذ أسبوع على الأقل!"** [2]

لقد كانت تلك الشاحنة تترقب خطواتهم وتراقبهم فهم مجموعة من الكيان الصهيوني قرروا اغتيال عمر وهيثم بسبب مشروعهم الذي عمل على مساعدة أصدقائهم في غزة بإرسالهم طائرات للتجسس على المحتل.

قبل تعرضهم لطلقات الرصاص من الاحتلال الإسرائيلي ، كان هيثم قد تلقى خبر حمل زوجته ياسمين الذي كان ينتظر لقاءه كثيرا كان مسرورا جدا لتلقي الخبر فقبل اغتياله سأله عمر: "**هل اقترب الوضع؟**

. الحمل في الشهر الثامن ... آمل أن يظل مستقرا حتى التاسع.

خيرا إن شاء الله ماذا قررت أن تسميه؟

قال في فخر: عز الدين! "محاولة"

كانت تلك آخر كلمات هيثم قبل الاغتيال!

صورت لنا الكاتبة طريقة تصميم الاغتيال المسبق ، بهدف التخلص من "هيثم وعمر" فهي الطريقة الوحيدة للاحتلال الصهيوني للتخلص من الخصوم من خلال إتباع مختلف الوسائل.

سردت لنا الكاتبة طريقة اغتياله بقولها "**رفع عمر، لتمر الشاحنة السوداء التي خرجت فجأة من الطريق المتعامد دون احترام لقواعد المرور، حدق في زجاجها المظلم الذي يخبئ ملامح السائق، ثم توجه بصره ناحية السيارة الثانية التي فرملت بدورها بصوت مزعج، وهي تدخل الشارع باتجاه المعاكس توقفت على بعد خمسة أمتار من موقع**

[1] خولة حمدي: ياسمين العودة، ص 332.

[2] المصدر نفسه، ص 385.

سيارة هيثم ونزل زجاج نوافذها الأمامي، والخلفي من الناحية التي يراها هيثم وعمر بوضوح[1]، كان كل شيء سريعا ومباغتا.

" خلف زجاج النوافذ، ظهر وجهان متواريان وراء نظارات شمسية عريضة تخفي قسماتهما الأوروبية، ثم وبشكل غير متوقع ارتفعت فوهات مسدسات مزودة بكاتم للصوت لينطلق وابل من الرصاص في اتجاه مباشر عن سابق إصرار وترصد"انهمرت الرصاصة القاتلة مثل المطر.

أنّ عمر في ألم حين أصابته الرصاصة الأولى ثم انكفأ على وجهه ليرتطم رأسه بلوحة قيادة السيارة، أحصى عشرين رصاصة، ارتد بعضها بعد اصطدامه بهيكل السيارة، في حين شق آخر زجاجها وعبره في اتجاه الهدف.

قيل أنه يغيب عن العالم، كان آخر ما وقعت عليه عيناه، صاحبه المدجج بدمائه[2]

جريمة القتل أو جريمة الاغتيال صورتها الكاتبة "خولة حمدي" في روايتها "ياسمين العودة" في اغتيال هيثم وعمر بعد دخولهما مشروع صنع طائرات بدون طيار لإرسالها إلى غزة للتجسس على الكيان الصهيوني سارت بهم إلى اغتيالهم بالرصاص.

نقلوا إلى المستشفى كانوا في حالة حرجة جدا وسيئة جدا مصابان بطلقات نارية عديدة لكل منهما إصابتهم خطيرة، قامت المحامية رنيم بكل مابوسعها لتلقيهم الجراحة ومعالجتهم وعودتهم للحياة، نجحت عمليات الجراحة و أصبحوا في تحسن مستمر، لكن بعد تحسن "هيثم وعمر" حاولوا مرة أخرى اغتيالهم في المستشفى :"على امتداد الطريق من الشقة كانت تحادث نفسها بأنها بحاجة إلى الفضفضة. فكرت بأنها إن ألفت ياسمين بمفردها، فستقضي إليها بمكنونات صدرها. تخيلت جلستهما على مقاعد الانتظار تتسامران مثل الأيام الخوالي مع اختلاف الإطار المكاني لمحت طبيبا يغادر غرفة هيثم فاستوقفته للسؤال:

"كيف أصبح هيثم الأندلسي اليوم؟ هز الطبيب رأسه بابتسامة وقال:

[1] خولة حمدي: ياسمين العودة، ص 385.

[2] المصدر نفسه، ص 385.

. سيكون بخير... لقد نام للتو. لا يريد إزعاجا. عن إذنك الآن."[1]

لقد كان ذلك الطبيب ينفذ محاولة اغتيال ثانية لهيثم بعد دخوله لغرفته بعدها "استدعى رنيم مشهد ممرضة تركض في اتجاه غرفة العناية وقد بدا عليها الإرتباك، ما إن انفرجت دفتا الباب حتى سمعت رنيم الرنين الآلي الذي تصدرت الآلات المتصلة بهيثم كان هيثم قد فارق الحياة بعد اغتياله من طرف الطبيب"[2].

بينت الكاتبة "خولة حمدي" سياسة قوات الاحتلال الإسرائيلي في الاغتيال فالكيان الصهيوني يتّبع منهجا مبرمجا في عمليات الاغتيال و الاستهداف بمختلف الوسائل المتاحة والمتطورة، لاغتيال الوجود الفلسطيني و الامتداد الفلسطيني على هذه الأرض.

[1] خولة حمدي : ياسمسن العودة، ص 432.

[2] المصدر نفسه، ص 447.

خاتمة

خاتمة:

بعد أن أتممت هذا العمل بحمد الله وتوفيقه توصلت إلى مجموعة من النتائج يمكن حوصلتها فيما يلي:

- يعد النقد الثقافي النقد المكمّل الذي أفرزته تحولات ما بعد الحداثة والذي حلّ مكان النقد الأدبي ليحوّل الاهتمام بالمجال البلاغي في النصوص إلى الاهتمام بما هو مضمر ومخبوء تحتها، وعليه تكمل مهمته في كشف الأنساق من خلال الاستعانة بآليات تعتبر ثمرة المناهج والمجالات المعرفية التي سبقته كونه إستفاد منها نظريا وعمليا.
- يمثل النقد الثقافي آخر ما توصل إليه الفكر النقدي مما جعله يتميز بعدة سمات أهمها: التوسع، الشمول الضرورة والاكتشاف.
- تحمل رواية ياسمين العودة العديد من الأنساق الثقافية الظاهر منها والمضمر تنوعت بين الاجتماعية والثقافية.
- ارتكزت الرواية على أنساق ثقافية تمثلت في الاغتيال الذي تعرض إليه هيثم من طرف الكيان الصهيوني.
- تمثل الرواية تجربة يمكن وصفها بالواقعية في تجسيدها للواقع من خلال معاناة أبطال الرواية ياسمين وهيثم وسكينة من العنصرية من أجل الحجاب و لكونهم مسلمين.
- تعكس الرواية انساقا اجتماعية تشمل العادات والتقاليد على الأعراس والأكل اللذان يصوران الجانب التراثي للمجتمع العربي والغربي وسحب حضانة الأطفال في الغرب والقانون الفرنسي الذي تطبقه الحكومة الفرنسية في حق المسلمين والعرب.

قائمة المصادر

والمراجع

- **المصادر**

خولة حمدي: ياسمين العودة، كيان للنشر والتوزيع ، مصر ، 2021.

- **المراجع:**

1. إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان- الأردن، ط 1، 2003.
2. إصلاح قنصورة، تمارين في النقد الثقافي، دار بيروت، القاهرة، ط1، 2002.
3. جميل حمداوي، النقد الثقافي بين المطرقة، دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني، الناظور تطوان، المغرب، ط 1، 2015.
4. سعد البازغي وميجان الرويلي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 3، 2002.
5. سمير خليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
6. شوقي ضيف، فنون الأدب العربي، النقد، دار المعارف، القاهرة مصر، ط5.
7. ضياء الكعبي، السرد العربي القديم: الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005.
8. طارق بوحالة، نظرية النقد الثقافي في الخطاب العربي المعاصر، نماذج مختارة، ميلة، الجزائر.
9. عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة: فلسفة المعنى بين نظام الخطاب وشروط الثقافة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010.
10. عبد الله الغذامي وعبد النبي اصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 2004.
11. عبد الله الغذامي، النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، الدار البيضاء المغرب، ط3، 2005.

12. فنسنت بليتش، النقد الأمريكي من الثلاثينيات إلى الثمانينيات، تر محمد يحيى، المجلس الأعلى للثقافية، 2000،.

13. مالك بن نبي، مشكلات الحضارة، مشكلة الثقافة، دار الفكر المعاصر بيروت، لبنان ط4، 2000.

14. محمد مفتاح، التشابه والاختلاف: نحو منهاجية شمولية، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان.

15. مصطفى الضبع: أسئلة النقد الثقافي ، مؤتمر أدباء مصر في الأقاليم، المنيا – مصر، 2003.

16. يوسف حسن يوسف: الملفات السرية للمؤسسات (تاريخ الاستخبارات الإسرائلية)، القاهرة شركة الشريف ماس للنشر و التوزيع، 2015،ط 2.

17. يوسف عليمات جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجا المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

– المعاجم و القواميس :

18. السعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبنانية، بيروت، لبنان، ط1، 1985.

19. جمال الدين ابن منظور، لسان العرب دار المعارف ، مصر، ط1.

20. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004.

– المجلات والمقالات:

21. آلاء ياسين دياب وغسان السيد، النقد الثقافي واستقباله في النقد العربي الحديث، مجلة جامعة حماة، مج1، ع9، 2018.

22. سميرة حدادي واليامين بن تومي، التلقي العربي للنقد الثقافي بين التجاور والتحاور الممارسة النقدية عند إدريس الخضراوي نموذجا، مجلة المدونة مج 7 ، ع2، 2020.

23. عمار كاظم، أسباب نشوء التمييز العنصري، مقال مجلة النهار، منتدى الهدي، العدد 22، بتاريخ 18 مارس 2018م.

الرسائل و الأطاريح الجامعية :

24. فايزة اسعد ، العادات الاجتماعية والتقاليد في الوسط الحضري بين التقليد والحداثة، اشراف حجيج الجنيد ، جامعة وهران 2011-2012 .

مواقع الكترونية:

25. محمد المحسن: المشكلات الاجتماعية للشباب والطلاب بالجامعات السودانية وعلاقتها ببعض التغيرات النفسية والتربوية، مقال منشور على الموقع :

https://www.b-sociology.com/2019/09/pdf_52.html

26. إدريس الخضراوي: الدراسات الثقافية،

https://www.minculture.gov.ma/?p=3270#.YokxdahBxPY،

تاريخ الدخول: 05/05/2023، في الساعة: 12:50 .

ملاحق

ملحق رقم 01: التعريف بالروائية (خولة حمدي).

خولة حمدي كاتبة تونسية من مواليد 1984، بتونس العاصمة، وأستاذة جامعية في تقنية المعلومات بجامعة الملك سعود بالرياض، متحصلة على شهادة في الهندسة الصناعية والماجيستير من مدرسة المناجم في مدينة سانت اتيان الفرنسية سنة 2008، متحصلة على الدكتوراه في بحوث العمليات (أحد فروع الرياضيات التطبيقية) من جامعة التكنولوجيا بمدينة " تروا " بفرنسا سنة 2011م، صدرت أول رواية لها عام 2012،(في قلبي أنثى عبرية) ذات 385 صفحة وحققت نجاحا باهرا في العالم العربي ثم توالت الإصدارات.

- أعمالها الروائية:

- **في قلبي أنثى عبرية:**أول روايات الكاتبة حققت نجاحا كبيرا والرواية مستوحاة من قصة حقيقية ليهودية تونسية دخلت الإسلام بعد تأثرها بشخصية طفلة مسلمة يتيمة الأبوين صمدت في وجه الحياة بكل شجاعة وبشخصية شاب لبناني ترك بصمته في حياتها وتدور احداث هذه الرواية في قلب حارة اليهود في الجنوب التونسي حيث تتشابك الأحداث حول الطفلة المسلمة اليتيمة التي تربت في أحضان أسرة يهودية في مدينة " قانا " العتيقة في جنوب لبنان، تحدث بلبلة غير متوقعة في حياة الفتاة ندى التي نشأت بعيدا عن اليهودية بعيدا عن والدها المسلم، حيث تتابع اللقاءات والأحداث لتسير في موعد مع القدر في قالب روائي مشوق.

- **غربة الياسمين:**تهدف الرواية للدفاع عن الدين الإسلامي، وهو كابوس تعيشه أمريكا وأوروبا والذي ارتبط لديهم الارهاب. تناولت الكاتبة أزمة الحجاب والمحجبات في فرنسا والعنصرية والاضطهاد الذي يمارسه الغرب ضد المسلمين .فاليوم تتسائل الروائية متى تتوقف العنصرية ضد المسلمين في كل مكان. تتكون الرواية من 400 صفحة تجمعهم الحبكة والأسلوب المميز حيث تجمع الكاتبة الشخصيات في ترابط شديد الذكاء، وتجعل القارء ينتقل من مارسيليا إلى ليون ومن ثم باريس ويتجول مع المغتربين العرب هناك، وربما

تكون فرنسا هي بلد الأحلام للعديد من العرب عند ذهابهم هناك يتهمون بالإرهاب فقط لكونهم مسلمين، كما تتحدث الرواية أيضا عن مغامرة السفر لأول مرة.

1. **أن تبقى:** تتميز الرواية باللغة السهلة والأسلوب الرائع وتتحدث عن قضايا الهجرة الغير شرعية وتشريد الشباب في البلاد الأجنبية وحلم الهجرة الذي يراود كل شاب والظروف الصعبة التي يمر بها الشاب مع الهجرة العنصرية والنظرة السيئة للعالم الإسلامي والمسلمين، نظرة الإرهاب خاصة ما حدث بعد الثورات الأخيرة في العالم العربي ومن ناحية أخرى ظهورا اليوم على الساحة العربية، أيضا عرفت الرواية الشكل الآخر لفرنسا وتوغلت في العالم السفلي للمتشردين المهاجرين الغير الشرعيين وهي آخر رواية ظهرت عام 2016.
2. **أحلام الشباب :** الرواية هي أول محاولة للكاتبة الدكتورة خولة حمدي ولكنها لم تنشر إلا بعد صدور:" في قلبي أنثى عبرية "، وهي تتمتع بأحداث كثيفة وممتعة ركزت على حلم واحد في حياة الفتاة هو ارتباطها بفارس الأحلام وطموحات البطلة العالية، وهي من المحاولات الأولى الجميلة للكاتبة ولكنها ليست أقوى الروايات.
3. **أين المفر:** بدأت كتابتها في سن المراهقة وعمرها لم يتجاوز السابع عشر وراجعتها لاحقا لتصدر منقحة، في عام 2007، وفيها تتجلى قيم الوفاء والتسامح والعفو في أبهى صورها، وفيها تظهر روعة المبادئ وهي تنتصر على الانتهازية والاستغلال والثراء من الطرق الغير مشروعة.

وتلك كانت إصدارات الكاتبة خولة حمدي التي تميزت بالرقة والجمال والدعوة إلى الدين بشكل جميل، والدفاع عن الدين ضد الإرهاب وسلطة الضوء على قضايا العنصرية واضطهاد الشباب المسلم بالغرب ونشأة الجماعات المتطرفة وكيف ينتمي الشباب إليها والهجرة الغير شرعية وحياة المهاجرين غير شرعيين من العرب في البلاد الغربية، قدمت الكاتبة كل تلك الأفكار في قالب أدبي رفيع المستوى وأسلوب متميز جدا.

ملحق رقم 02: ملخص الرواية.

تمثل رواية ياسمين العودة الجزء الثاني من رواية " غربة الياسمين " قصة غربة الياسمين هي قصة الفتاة التونسية التي تسافر إلى فرنسا للحصول على درجة الدكتوراه وتحكي القصة عن العنصرية والمعاناة التي يواجهها المغتربين في أوربا وحكت أيضا حياة ياسمين وكيف تعرفت بهيثم وعمر ورنيم والصداقة بينهم والمشاعر والعواطف وانجذابها له وانتهت القصة بنهاية كان يبدو أن لها جزءا آخر، طال الانتظار ولكن الدكتورة خولة حمدي عادت بقصة ياسمين العودة وهي الرواية التي نعالجها في رسالتنا هذه لتكمل لنا قصصهم فبدأت من باريس 2008 بعد أن قضت ياسمين أربع سنوات في فرنسا وفي هذه الفترة تم خطبة ياسمين وهيثم الذان كانا يستعدان لزفافهما في حين قابلت عمر الرشيدي الذي دق فؤادها أول ما رأته ، كانت معجبة به و عندما رأته أصبحت غيرة هيثم عليها واضحة في حين تذكرت رنيم صديقتها المحامية التي وقفت بجانب عمر في قضيته ودخوله إلى السجن وكيف تعلق عمر برنيم من تلك اللحظة و تمر اللحظات والمشاعر وتذهب بنا الكاتبة إلى القاهرة أبريل 2005 حيث تذهب رنيم إلى القاهرة وتزور عائلتها وتحكي قصة حبها لعمر ومن ثم يرفض والدها علاقتها به نهائيا وهي في القاهرة تعرفت بالطبيب الجراح شهاب التي تتزوجه لا حقا، فالرواية شملت العديد من القيم الاجتماعية مثل التعاون والحب وعلاقة ميساء أخت هيثم بياسمين زوجة أخيها، من ثم تعرفت ياسمين بسكينة المرأة السورية المطلقة التي ستصبح جارتها في السكن وتحكي لها ما عانته في الغربة وكيف سحب منها أولادها بمجرد خطأ منها، وتتعرف على ما تيلدا ورانيا وأستاذ جورج والبروفيسور سامي والد ياسمين وأشخاص كثيرة تتداخل الحياة بينهم ويتنفسون هوائها، وتذهب بنا القصة أيضا إلى أسرة عمر الرشيدي في المغرب ونعيش معهم حياتهم ثم نعود إلى باريس ونتعرف على آية وعزام وعلى الشراكة بين هيثم وعمر وتنقلب القصة بعد هجوم مسلح عليهما اغتيل فيه هيثم وأصيب به عمر في حين كانت ياسمين وقت ولادتها وتنحبس الأنفس بين هيثم الذي اغتيل، وبين ابن ياسمين وياسمين، وثم التحقيقات التي دارت وعلاقة اسرائيل بهذا

الحادث وعلاقة المقاومة الفلسطينية بهيثم وعمر ولماذا اراد هيثم أن يسمي ابنه عز الدين وكيف ستعاني ياسمين نفسيا من اسم ابنها وماذا فعلت رنيم لتساعد عمر للمرة الثانية وكيف أثر ذالك على زوجها شهاب وطفليها، وكيف عادت إلى الهدوء مرة أخرى بعد الصخب الذي ملأ حياتهم وعشنا معهم فيه.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات	الصفحة
شكر وعرفان	
إهداء	
مقدمة	أ-ج
الفصل الأول: النقد الثقافي، مفهومه، سماته و مرجعياته	
أولا: تحديدات اصطلاحية	05
1- مفهوم النقد	05
2- مفهوم الأدب	06
3- مفهوم الثقافة	07
4- مفهوم النسق	09
ثانيا: مفهوم النقد الثقافي	10
1- تعريف النقد الثقافي	10
2- خصائص النقد الثقافي	14
ثالثا: النقد الثقافي في الساحة النقدية العربية	17
رابعا: الأنساق الثقافية وأنواعها	20
الفصل الثاني: الأنساق الاجتماعية و الثقافية في رواية "ياسمين العودة"	
أولا: الأنساق الاجتماعية	24
1- العادات والتقاليد	24
2- ظاهرة سحب حضانة الاطفال العرب و المسلمين في الغرب	28
ثانيا: الأنساق الثقافية	31
1- العنصرية	31
2- الاغتيال	34
خاتمة	41

قائمة المصادر والمراجع	43
ملاحق	47
ملحق رقم 01 التعريف الروائية	47
ملحق رقم 02 ملخص الرواية	49
ملخص	

ملخص الدراسة:

من هذا البحث المعنون بـ" الأنساق الاجتماعية و الثقافية في رواية "ياسمين العودة" لـ "خولة حمدي"، نحاول من خلاله الوقوف عند دور الأنساق الاجتماعية والثقافية في الرواية، وقد اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي لدراسة الرواية.

قسمنا بحثنا إلى فصلين، مسبوقين بمقدمة.

الفصل الاول نظريا بعنوان: تحديدات اصطلاحية في النقد، الأدب، الثقافة والنسق و مفهوم النقد الثقافي ومرجعيات النقد الثقافي في الساحة النقدية العربية و الأنساق الثقافية.

بينما جاء الفصل الثاني تطبيقيا بعنوان الأنساق الثقافية و الاجتماعية في رواية ياسمين العودة "لخولة حمدي" و الذي ضم الأنساق البارزة في الرواية فشملت الدراسة الأنساق الاجتماعية، والأنساق الثقافية وخاتمة جمعت أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث أما الملحق فعرضنا فيه السيرة الذاتية للروائية خولة حمدي، وملخصا لرواية ياسمين العودة.

الكلمات المفتاحية: النقد ، الثقافة، خولة حمدي ، ياسمين العودة .

Abstract:

From this research entitled "Social and Cultural Patterns in the Novel" Yasmin Al-Awda" by "Khawla Hamdi", through which we try to stand at the role of social and cultural patterns in the novel, and we have relied on the descriptive and analytical approach to study the novel.

We divided our research into two chapters, preceded by an introduction.

The first chapter is theoretically entitled: Idiomatic definitions in criticism, literature, culture and format, the concept of cultural criticism and the references of cultural criticism in the Arab monetary arena and cultural formats.

While the second chapter was applied, entitled Cultural and Social Patterns in Yasmine Al-Awda's novel "Lakhawla Hamdi", which included the prominent patterns in the novel. Khawla Hamdi, and a summary of Yasmine Al-Awda's novel.

Keywords: Criticism, Culture, Khawla Hamdi, Yasmine Al – Awda .